

التفسير

(٣)

الإصدار الأول
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م





التفسير

(٣)

إعداد مجموعة زاد

الإصدار الأول
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

ح مجموعة زاد للنشر، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفريق العلمي في مجموعة زاد

التفسير./ الفريق العلمي في مجموعة زاد.- الرياض، ١٤٣٩هـ

١٠٠ص. ٢١×٢٧.٥سم

ردمك: ٨-٢٢-٨٢٣٤-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٢٥-٨٢٣٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- القرآن-تفسير ٢- القرآن - تفسير - تاريخ

٣- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي: ٢٢٧ ١٤٣٩/٤٣٥٨

نشر زاد

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الشاطئ - بيوتات الأعمال - مكتب ١٦

موبايل: ٦٤٣٢ ٤٤٤ ٥٠ ٩٦٦+، هاتف: ٦٩٢٩٢٤٢ ١٢ ٩٦٦+

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

الإصدار الأول

الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

توزيع العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanretail.com


بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن العلم الشرعي من أهم الضرورات التي يحتاجها المسلمُ في حياته، وتحتاجُها الأمةُ كلُّها في مَسيرتِها الحضاريةِ؛ لذا جاءت النصوص الشرعية في الإعلاء من شأنه وشأنِ حامِليه، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرادُ بأولي العلمِ هنا علماءُ الكتابِ والسُّنةِ»، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وفي الحديث: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» رواه مسلم.

وتأتي هذه السلسلة العلمية خدمة للمجتمع، بهدف إيصال العلم الشرعي إلى الناسِ بشتَّى الطُّرُقِ، وتيسير سبلِهِ، وتقريبه للراغبين فيه، ونرجو أن تكون رافدة ومعينة للبرامج العلمية والقراءة الذاتية وعونًا لمن يبتغي التزود من العلم والثقافة الشرعية، سعيًا لتحقيق المقصد الأساسِ الذي هو نشرُ وترسيخُ العلمِ الشرعي الرصينِ، المبني على أسسٍ علميةٍ صحيحةٍ، وفقَ معتقدٍ سليمٍ، قائمٍ على كتابِ اللهِ وسنةِ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بشكلٍ عصريٍّ ميسَّرٍ، فنسأل الله تعالى للجميع العلم النافع والعمل الصالح والتوفيق والسداد والإخلاص.

***



سلسلة
زاد العلمية

التفسير
(٣)


المحتويات

الوحدة الأولى ١

سورة الانشقاق

مكيةٌ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥ ﴾

[الانشِقَاق: ١-١٥]

ما وَرَدَ في شَأْنِها:

عن أبي رافع قال: صَليْتُ مع أبي هُرَيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ العَتَمَةَ فقَرَأَ: «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ» فسَجَدَ، فقُلْتُ له، فقال: سَجَدْتُ خَلفَ أبي القاسِمِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلا أَزَالُ أَسْجُدُ بها حتَّى ألقاه. متفق عليه.

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سَجَدْنا مع رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ» و«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ». رواه مسلم.



التفسير

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ أي: إذا السَّماءُ تَصَدَّعَتْ وتقطَّعَتْ فكانَتْ أبوابًا.

وهو كقولِهِ تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ أي: سَمِعَت أَمْرَ ربِّها بالانشِقَاقِ وأطَاعَتْهُ، وحُقَّ لها أنْ تطِيعَ؛ لأنَّ الذي أَمَرَهَا هو اللهُ خالقُها سبحانه.

والأَذَنُ: الاسْتِمَاعُ، ومنه قَوْلُ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ كأَذَنِهِ لنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرْآنِ**» متفق عليه. أي: ما اسْتَمَعَ اللهُ لشيءٍ كاستماعِهِ لنبيٍّ يتَغَنَّى بالقُرآنِ.

وحُقَّ فلانٌ بكذا، أي توجَّهَ عَليْهِ حَقٌّ.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ أي: بُسِطَت وَفُرِشَت ووُسِّعَت، ومَدَّهَا الله تعالى، حتى صَارَتْ وَاسِعَةً جدًا، تَسَعُ أَهْلَ الموْقِفِ على كثرتِهم، ويُزالُ ما عليها من جِبالٍ ونحوِه.

التفسير

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: ألقَتْ ما في بطْنِها من الموتى والكُنُوزِ وغيرِه إلى ظَهْرِها، وتخلَّتْ منهم، فلم يبقَ مما في باطِنِ الأرْضِ شَيءٌ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: سمعت لربها وأطاعته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: سَاعٍ إلى ربِّك سَعْيًا، بجِدٍّ وَمَشَقَّةٍ، فتكْدَحُ كَدْحًا يوصِلُكَ إلى ربِّك، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥].

﴿فَمُلَـٰقِيهِ﴾ أي: مُلاقٍ ربِّك، لا مَفَرَّ لك من لقائِهِ، أو مُلاقٍ جَزاءَ عَمَلِكَ خَيرًا كانَ أو شَرًّا.

والكَدْحُ: عَمَلُ الإنسَانِ وَجُهْدُهُ في الأَمْرِ من الخيْرِ والشَّرِّ حتى يكْدَحَ ويؤثِّرَ ذلك فِيهِ.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ أي: من أُوتيَ دِيوانَ أعْمَالِه بيَدِهِ اليُمْنَى.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أي: يُعرَّفُ ذُنوبَهُ، ثم يُتَجَاوزُ له عنها.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس أحدٌ يحاسَبُ إلا هَلكَ**»، فقلتُ: أَلَيْسَ يقولُ اللهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «**ليس ذلك بالحسَابِ، ولكن ذلك العَرْضُ، ومن نُوقِشَ الحسَابَ هَلَكَ**».

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ يعني في الجنَّةِ من الحُورِ العِينِ والآدَمِيَّاتِ ﴿مَسْرُورًا﴾ لأنه نجَا من العَذَابِ، وبما أُوتِيَ من الخيرِ والكرامَةِ.

والانقلابُ: الرُّجُوعُ إلى المكانِ الذي جِيءَ منه.



التفسير

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ فتُغَلُّ يَدُهُ اليُمْنى إلى عُنُقِهِ، وتُجْعَلُ يدُهُ الشِّمَالُ وَراءَ ظَهْرِهِ، فيُؤتى كتابَهُ بشمالِهِ من وراءِ ظَهْرِهِ، إشارةً إلى أنه قَدْ ولَّى ظَهْرَه كتابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ولم يبالِ به، ولم يرفعْ به رأسًا، ولم يرَ بمخالفتهِ بأسًا، فَعُوقِبَ من جِنْسِ عَمَلِهِ.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ أي: ينادي بالويلِ والهلاكِ إذا قَرَأَ كتابَهُ، فيقولُ: يا وَيْلاه يا ثُبُورَاه ونحوَهُ من كلماتِ النَّدَمِ والحَسْرةِ، كقوله تعالى: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي: ويَدْخُلُ النَّارَ حتى يَصلى حَرَّها، كقوله: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أي: في الدُّنيَا، فلم يخْطُرِ البَعْثُ على بالِهِ، وقَدْ أَسَاءَ.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: ظنَّ أن لنْ يَرْجِعَ حيًّا مَبْعُوثًا، فيحاسَبُ، ثم يثابُ أو يُعَاقَبُ.

والحَوْرُ: الرُّجوعُ، ومنه قولُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللهُمَّ إني أَعُوذُ بك من الحَوْرِ بعْدَ الكَوْرِ»** رواه مسلم. أي: الرُّجُوعِ إلى النُّقْصانِ بعْدَ الاكتِمَالِ.

قال لبيد:

وما المرْءُ إلا كالشِّهابِ وَضَوْئِهِ يحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

﴿بَلَىٰٓ﴾ أي: ليْسَ الأمرُ كَمَا ظَنَّ، بل سَيَحُورُ إلَيْنَا وَيَرجِعُ.

﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ قَبْلَ أَنْ يخلقَهُ، عالمًا بأن مَرْجِعَهُ إليْهِ، وعالمًا بما سَبَقَ له من الشَّقاءِ والسَّعَادَةِ.



فوائد الآيات:

١

الكِتابُ، هو صَحِيفةُ الأعْمَالِ ودِيوانُها، وجَعَلَ اللهُ إيتاءَ المؤمِنِ إياه بيمينِهِ شِعَارًا للسَّعادَةِ لما هو متعَارَفٌ عليه من أنَّ اليَدَ اليُمْنى تتَنَاوَلُ الأشْيَاءَ الزَّكيَّة، وهذا في غَرِيزَةِ البَشَرِ.

٢

قوله تعالى: ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴾ في هَذا التركِيبِ تمثِيلٌ لحَالِ المحَاسَبِ حِسَابًا يَسِيرًا في المسَرَّةِ والفَوْزِ والنَّجاةِ بعْدَ العَمَلِ الصَّالحِ في الدُّنيا، بحالِ المسَافِرِ لتِجَارةٍ حينَ يرجِعُ إلى أهْلِهِ سَالمًا رابحًا؛ لما في الهَيْئةِ المشبَّهِ بها من السُّرورِ بالفَوْزِ والسَّلامَةِ ولقاءِ الأهْلِ.

٣

في قوله:  ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا﴾ إشَارَةٌ إلى حِكمَةِ البَعْثِ للجَزَاءِ؛ لأنَّ ربَّ الناسِ عَليمٌ بأحْوالهِم بَصِيرٌ بها، فليسَ من الحِكمَةِ أنْ يذهَبَ المفْسِدُ بفَسَادِهِ وما ألحَقَهُ بالخَلْقِ وغَيرِهِم مِن مَضَارَّ، وأنْ يُهمِلَ صَلاحَ المصْلِحِ، فجَعَلَ اللهُ الحياةَ الأُخْرَوِيةَ الأبدِيَّةَ، وجَعَلَها للجَزَاءِ عَلَى ما قَدَّمَ صَاحِبُها في حَيَاتهِ الأُولى.

نشاط

١ هاتِ ثلاث آياتٍ من القُرآنِ تدُلُّ على انشِقَاقِ السَّماءِ يوْمَ القِيامَةِ.

....

....

....

٢ لِماذا أُوتي الكافِرُ كتابَهُ وَرَاءَ ظهْرِهِ؟

....

....

....

٣ ماذا تفْهَمُ من هذا التعْبيرِ القُرآنيِّ البَليغِ في قوله تعالى: ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴾؟

....

....

....

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

[الانشقاق: ١٥-٢٥]



التفسير

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ قد يظُنُّ الظَّانُّ أنَّ معنى ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ نَفْيٌ، وَلَيْسَ كذلك بلْ هُوَ إثباتٌ و(لا) هُنا جِيءَ بهَا للتَّنبيهِ والتوكيد، وَلها نَظَائرُ مِثْلُ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١].

والشَّفَقُ: الحُمْرَةُ التي تكونُ بعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

قال الواحِديُّ: هَذا قَوْلُ المفسِّرين وأهْلِ اللغةِ جميعًا.

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: وَما جَمَعَ وضَمَّ وَحَوى، والمعنى: والليلِ وما جمَعَ وَضَمَّ ما كانَ بالنَّهارِ مُنتشِرًا من الدَّوابِّ؛ وذلك أنَّ الليلَ إذا أقبَلَ آوَى كلَّ شيءٍ إلى مأواه.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي: اجتمَعَ وتكاملَ وتمَّ بَدْرًا.

التفسير

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ هذا هو المقسَمُ عليه، أي: لتركبُنَّ أحوالًا وأطْوارًا مُتغيِّرةً مُتباينةً، حَالًا بعْدَ حالٍ، من النُّطْفَةِ إلى العَلقَةِ، إلى المضْغَةِ، إلى نَفْخِ الرُّوحِ، ثم يَكُونُ وَليدًا وَطِفلًا ثم مميِّزًا، ثم يجْرِي عليه قلَمُ التكليفِ، وهكذا إلى أنْ يمُوتَ، ثم ينتقِلُ إلى الدَّارِ الآخِرَةِ.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ يعني: أيّ شَيءٍ يمنعُهُم من الإيمانِ، وماذا عَليْهم لو آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَبما جَاءَ به القُرْآنُ، مما يجِبُ الإيمانُ به؟!

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾ أي: لا يخضَعُون لله عَزَّوَجَلَّ، فالسُّجُودُ هنا بمَعْنَى الخُضُوعِ للهِ تعالى، سواءٌ سجَدَ على الأرضِ أم لم يسجُدْ، لكن يسْجُدُ القَلبُ وَيلينُ وَيذِلُّ.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ أي: يعانِدُون الحقَّ بعدَ ما تبيَّنَ، فلا يُسْتغْرَبُ عَدَمُ إيمانِهِم وعدمُ انقِيَادِهِم للقُرآنِ، فالتَّكذِيبُ طَبعُهُم الأَصِيلُ.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يجْمَعُونه في صُدُورِهِم، ويُضْمِرُونه في أنْفُسِهِم، وينوُونه سِرًّا، فاللهُ يعلمُ سِرَّهُم وَجَهْرَهُم، وَسُيجازِيهم بأعْمَالِهِم.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أخْبِرْهُم بعَذَابٍ شَدِيدِ الإيلامِ.

وسُمِّيت البِشَارةُ بِهَذَا؛ لأنَّها تؤثِّرُ في البَشْرَةِ سُرُورًا أو غمًّا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ هذا فريقٌ آخَرُ هَداهُمُ اللهُ، قَبلوا ما جَاءَهُم به الرُّسُلُ، فآمَنُوا وعمِلوا الصَّالحاتِ، فهَؤُلاءِ لهم أجْرٌ غيرُ مَقْطُوعٍ، بل دَائِمٌ.



فوائد الآيات:

في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أنَّ الأحْوَالَ التي تمُرُّ بالإنْسَانِ تتغيَّرُ، وهذا يَشْمَلُ أحْوالَ الزَّمانِ، وأحْوَالَ المكانِ، وأحْوالَ الأبدانِ، وأحْوالَ القُلوبِ:

الأوَّلُ: أحوالُ الزَّمانِ تتنقلُ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

الثَّاني: أحوالُ الأمْكِنةِ، فيَنزِلُ الإنسَانُ هذا اليومَ مَنْزِلًا، وفي اليَوْمِ الآتي مَنْزِلًا آخرَ، وَثالثًا وَرَابعًا إلى أن تنتَهِيَ به المنازلُ في الآخِرَةِ.

الثَّالثُ: أحوالُ الأبْدَانِ، فيرْكَبُ الإنسَانُ فيها طَبَقًا عن طَبَقٍ، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

الرَّابعُ: أحوال القُلوب، فَكُلُّ قُلوبِ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَينِ من أَصابعِ الرَّحمنِ، يقلِّبُها كيف يَشَاءُ.



فائدةٌ لغويةٌ: في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ما يُعَبِّرُ عنه العُلَماءُ بقَوْلِهِم: اسْتِثنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، بأنْ يكُونَ المستثنى ليْسَ من جنْسِ المسْتَثْنَى مِنْهُ، فالذِين آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالحاتِ غيرُ دَاخِلين ابتدَاءً في المبَشَّرين بالعَذَابِ، ولا من جِنْسِهِم؛ حتى يُسْتَثْنَوْا منهم! ولكن التَّعْبير على هَذا النَّحْوِ أَشَدُّ إثارةً للانتباهِ إلى الأمْرِ المُسْتَثْنى.

استدل بعض العلماء بقوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ على وجوبِ سُجُودِ التلاوَةِ.

والصَّحِيحُ: أنه ليس بواجِب بل سُنةٌ مُؤَكَّدةٌ؛ وذلك أنه ثبت في الصَّحيح عن عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خَطَبَ الناسَ يومًا فقَرَأَ سُورةَ النَّحْلِ، فلما وَصَلَ آيةَ السَّجْدةِ نَزَلَ من المنْبَرِ فسَجَدَ، ثم قرَأَها من الجُمُعَةِ الثانيةِ فَمَرَّ بها ولم يسْجُدْ، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن اللهَ لم يَفْرِضْ علينا السُّجُودَ إلا أنْ نشَاءَ»، وكان ذلك بمحضرٍ من الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولم يُنكرْ عليه أحَدٌ.

نشاط

١ اذكُرْ ثلاثَ آياتٍ من القُرآنِ تكونُ فيها (لا) زائدةً لتأكيدِ القَسَمِ.

....

....

....

٢ بيِّنْ مَعَانِيَ الكَلِمَاتِ الآتيةِ:

أ وَسَق:

....

ب اتَّسَقَ:

....

ج طبقًا عَنْ طَبَقٍ:

....

٣ ما حُكْمُ سَجْدَةِ التِّلاوَةِ؟

....





﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩﴾

[البُرُوج: ١-٩]

ما وَرَدَ في شَأْنِهَا:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقْرَأُ في العِشَاءِ الآخرَةِ بالسَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ، والسَّمَاءِ والطَّارقِ. أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي، وصححه الألباني.

التفسير

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ هذا قَسَمٌ من اللهِ تعالى بالسَّماءِ وبُرُوجِها، كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ [الفرقان: ٦١].

والبُرُوجُ: هي مَنَازِلُ الشَّمْسِ والقَمَرِ، وقيل: النُّجُومُ العِظَامُ والكَواكِبُ المنتظِمَةُ في سَيْرِهَا، على أَكْمَلِ تَرْتيبٍ وَنظَامٍ دالٍّ على كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ تعالى ورحمتِهِ.

وبَرَجَ: أي: ظَهَرَ، ومنه تبرُّجُ المرْأَةِ، وسمِّيَت البُرُوجُ بذلك لعُلُوِّها وارْتفَاعِها وظُهورِها وبيَانِها.

﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ وهو يومُ القِيَامةِ باتفاقِ المفَسِّرين، وَعَدَ اللهُ تعالى به وبيَّنَه في كتابِهِ، ونَصَبَ عليْهِ الأدِلةَ النَّقْليةَ والعَقْليةَ.

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ذَكَرَ عُلَمَاءُ التفْسِيرِ في الشَّاهِدِ والمشْهُودِ عدَّةَ أقوالٍ يجْمَعُها أنَّ اللهَ أقْسَمَ بكُلِّ شَاهِدٍ وبكُلِّ مَشْهودٍ.



والشُّهود كثيرون، منهم:

- محمدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].
- هذه الأمَّةُ شُهَداءُ على الناسِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].
- أعْضَاءُ الإنسانِ يومَ القيامَةِ تشْهَدُ عليه بما عَمِلَ من خَيرٍ وشرٍّ: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤].
- الملائكةُ يشهدون يومَ القِيامَةِ: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

فكلُّ من شهد بحقٍّ فهو داخل في قوله: ﴿ وَشَاهِدٍ ﴾.



التفسير

وأما (**المشهود**) فمنه يوم عرفة، ويومُ القِيامَةِ وما يُعرَضُ فيه من الأَهْوالِ العَظيمَةِ، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣].

﴿قُتِلَ﴾ أي: أُهْلِك وطُرِدَ، فهو دُعَاءٌ عليهم، وشَتْمٌ وخِزْيٌ لهم؛ لأنَّ الصِّيغةَ مُشْعِرةٌ بالأمْرَين.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ هم قومٌ كفَّارٌ أَحْرَقوا المؤمنين بالنَّارِ، حاولوا أن يردُّوا المؤْمِنِين عن دِينِهِم، ولكنَّهم عَجَزُوا فشَقُّوا في الأرْضِ شقًّا عَظِيمًا كالنَّهْرِ، وَجَمَعُوا الحَطَبَ الكَثِيرَ وأحْرَقُوا المؤْمِنين بها.

والأُخْدودُ: الشَّقُّ المسْتطِيلُ العَظِيمُ في الأَرْضِ، كالخَنْدَقِ ونحوه.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ أوْقَدُوا النَّارَ الشَّدِيدةَ ذاتَ الوَقُودِ، وهو الحَطَبُ الذي تُوقَدُ بِهِ.

﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ أي: إنَّ هَؤلاءِ الكُفَّارَ عِنْدَ النَّارِ جُلوسٌ لتعْذِيبِ المؤْمِنين، وَهَذا مِنْ أعْظَمِ ما يَكُونُ من قَسْوَةِ القَلْبِ.

﴿وَهُمۡ﴾ أي: المَلِكُ وأصْحابُهُ الذين شَقُّوا الأُخْدودَ ﴿عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من عَرْضِهِم على النَّارِ وإرادتهِم أن يرْجِعُوا إلى دِينهِم ﴿شُهُودٞ﴾ حُضُورٌ.

فهم قُعُودٌ حُضُورٌ شُهُودٌ لما يفعَلون بالمؤْمِنين، وهذا تفظِيعٌ لحَالِهم، وجُرْمِهِم؛ إذ كانوا يُشَاهِدُون تعْذِيبَ المؤمنين، فلا يرأفُون بِهِم، ولا يشمئِزُّون من المَنْظرِ.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ أي: وما عَابُوا عليْهِم، ولا كَرِهُوا منهم، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: ٥٩].



التفسير

﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فَمَا أنْكَرُوا عليهم إلا خَصْلَةً واحِدَةً، وهي إيمانُهُم باللهِ تعالى.

فهذه جَرِيمتُهُم أنهم آمَنُوا باللهِ العَزِيزِ القَادِرِ عَلى ما يُرِيدُ، الحَمِيدِ المسْتَحِقِّ للحَمْدِ في كلِّ حَالٍ!

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: المالكُ لجَمِيعِ السَّمواتِ والأَرْضِ، وَمَا فِيهِمَا وما بيْنَهُمَا، وهو كمالٌ للهِ تعالى بعْدَ كَمَالٍ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يَغِيبُ عَنْهُ شَيءٌ في جَمِيعِ السَّمواتِ والأَرْضِ، ولا تخْفَى عليه خَافِيةٌ.



فوائد الآيات:

١- في افْتِتاحِ السُّورَةِ بالقَسَمِ تَشْويقٌ إلى مَا يَرِدُ بَعْدَهُ، وإِشْعَارٌ بأهَمِّيَّةِ المقْسَمِ عَلَيْهِ، وهُو مَعَ ذلك يَلفِتُ عُقُولَ وألْبَابَ السَّامِعِين إلى الأُمُورِ المقْسَمِ بها.

٢- إجْراءُ الصِّفاتِ الثلاثِ عَلَى اللهِ تعالى وهي: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لزيَادةِ تقْريرِ أن ما نَقَمُوه مِنهم ليْسَ من شأنِهِ أنْ يُنقَمَ، بل هو حَقِيقٌ بأن يُمْدَحُوا بِهِ؛ لأنَّهم آمَنوا بِإلهٍ عَظيمٍ؛ لأجْلِ صِفَاتِهِ التي تقتَضِي عِبادَتَهُ.

٣- وفي قولِهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وَعِيدٌ للذين اتخَذُوا الأُخْدُودَ، ومن شَابَهَهُم، ووعْدٌ للذين عُذِّبوا في جَنْبِ اللهِ تعالى.

نشاط

١ اذكُرْ المعْنَى اللغَوِيَّ لكَلِمَةِ (البُرُوجِ).

٢ اذكُرْ ثَلاثَةً من الشُّهود، مع ذِكْرِ أدِلتِهَا من كِتَابِ اللهِ تعالى.

٣ في الآيَاتِ دِلالةٌ عَلَى شِدَّةِ تجبُّرِ المجْرِمين الذين حَرَّقُوا أصْحَابَ الأُخْدُودِ. وضِّحْ ذلك من خِلالِ الآياتِ.

٤ في عَصْرِ الضَّعْفِ الذي تشْهَدُهُ الأُمَّةُ الإِسْلاميَّةُ، ما الذي يسْتَفِيدُهُ المستَضعَفُون من مِثْلِ قِصَّةِ أصْحَابِ الأُخْدودِ؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

[البروج: ١٠-١٦]



التفسير

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: أحْرَقُوهُم بالنَّارِ.

يقال: فَتَنْتُ الشَّيءَ إذا أحْرَقْتُه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

وَقِيلَ: المراد: صدُّوهُم عن دِينِهِم ليَرْجِعُوا عَنْهُ.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ أي: من كُفْرِهِم وفِعْلِهِم.

والاسْتِمْرَارُ على الكُفْرِ أعْظَمُ من فِتنَةِ المؤْمِنين، وفِيهِ تَعْرِيضٌ للمُشْرِكِين بأَنَّهُم إنْ تابُوا وآمَنُوا سَلِمُوا من عَذَابِ جَهَنَّمَ.

قال الحَسَنُ البَصْرِي: انْظُروا إلى هَذَا الكَرَمِ والجُودِ، قَتَلوا أولياءَهُ وهو يَدْعُوهُم إلى التَّوبَةِ والمغْفِرَةِ!!

التفسير

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ وذلك لكُفْرِهِم، ولهم في الآخِرَةِ عَذَابٌ زَائِدٌ على عَذَابِ كُفْرِهِم بما أَحْرَقُوا المؤْمِنين، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨].

والحَريقُ: اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّم، كالسَّعِيرِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: إن الذين أقرُّوا بتَوْحيدِ اللهِ، وَهُم هَؤُلاء القَومُ الذين حَرَّقهُم أصْحَابُ الأُخْدُودِ وَغَيْرُهُم مِن سَائِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وعَمِلوا بِطَاعَةِ اللهِ، أَمْرًا وَنَهْيًا.

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أيْ: لَهُم في الآخِرَةِ عِنْدَ اللهِ بَسَاتينُ، تجْرِي من تحتِهَا أنهار الماءِ والخَمْرِ واللبَنِ والعَسَلِ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: هَذَا هُو الظَّفَرُ والنَّصْرُ الكَبِيرُ بما طَلَبُوا والتمَسُوا بإيمانِهِم باللهِ في الدُّنيَا.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ **البَطْشُ**: الأَخْذُ بعُنْفٍ، وَوَصْفُهُ بالشِّدَّةِ يَدُلُّ على أَنَّه قَدْ تَضَاعَفَ أخذه سبحانه بالعذابِ للظَّلَمَةِ والجَبَابِرَةِ، وَتِلْك سُنَّتُهُ سُبْحَانه، كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أيْ: إنَّ الأَمْرَ إليه ابتدَاءً وإِعَادَةً، أي: يخْلُقُ الخَلْقَ ابْتداءً، ثم يُعِيدُهُم عِنْدَ البَعْثِ، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ أي: ذُو المغْفِرَةِ، **والمغْفِرَةُ: سَترُ الذَّنبِ والعَفْوُ والتَّجَاوُزُ عنه**.

فليسَتِ المغْفِرَةُ سَتْرَ الذَّنبِ فَقَطْ، بل سَتْرُهُ وَعَدَمُ المؤَاخَذَةِ عَلَيْهِ.

التفسير

﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ من الودِّ، وهو خَالِصُ المحبَّةِ، فهو جلَّ وَعَلا محْبُوبٌ، وهو سَبْحانه مُحِبٌّ أيضًا، فَهُو وَدُودٌ يُحِبُّ ويُحَبُّ.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: صَاحِبُ العَرْشِ، الذي اسْتَوَى عَليْهِ سُبْحَانَه وَتَعَالى.

﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ وَصْفٌ للهِ تعالى بالمجْدِ، وَهُوَ سعَةُ الأوْصَافِ وَعَظَمَتُها.

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لأنه سبحانه تامُّ السُّلطانِ، فلا أَحَدَ يمانِعُهُ، ولا مُعَقِّبَ لحُكمِهِ، ولا رَادَّ لقَضَائِهِ.

فوائد الآيات:



١- أنَّ اللهَ سُبْحانه وتعالى قد يُسلِّطُ أعْدَاءَهُ على أوْليَائِهِ، فيَقْتلُونهُم ويحْرِقُونهُم، ورُبَّمَا انتهَكُوا أعْراضَهُم، فللّهِ تعالى في هَذا حِكْمةٌ، فالمصَابُون من المؤْمنين أجْرُهُم عِنْدَ اللهِ عظيمٌ، والكُفَّار المعْتدُون أمَلَى اللهُ سبحانه وتعالى لهم، ويَسْتدْرِجُهم من حَيْثُ لا يَعْلمُون.

٢- نَصَّ اللهُ تعالى عَلَى لَفْظِ: ﴿ٱلۡحَرِيقِ﴾ في السُّورَةِ، مع كَوْنِهِ مَفْهُومًا من عَذَابِ جَهَنَّمَ، ولكنه نصَّ عليه ليَكُونَ مُقَابِلًا للحَرِيقِ في الأُخْدُودِ، وبنَفْسِ اللفْظِ الذي يَدُلُّ على الحَدَثِ، مع الفارِقِ الكَبيرِ بينَهُما.

٣- أنَّ رَحْمَةَ اللهِ تعالى هي البابُ المفْتُوحُ الذي لا يغْلَقُ في وجْهِ عَائِدٍ تائِبٍ، ولو عَظُمَ الذَّنبُ وكَبُرَت المعْصِيَةُ.

نشاط

١ امْلأ الفَرَاغَاتِ الآتيَةَ:

أ الاسْتِمْرارُ عَلَى .... أَعْظَمُ مِنْ ....

ب قال الحَسَنُ البَصْرِيُّ: انْظُرُوا إلى هَذَا .... قَتلَوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُو ....

٢ قابِل بيْنَ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾، وقولِهِ تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

....

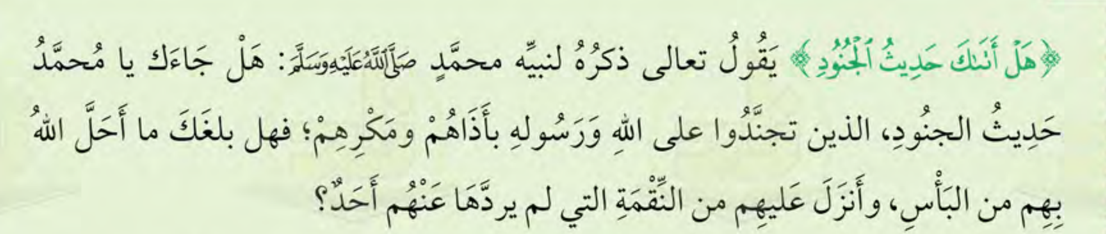
....

٣ في الجَدْولِ الآتي اكتُبْ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللهِ سُبْحانهُ وَصِفَاتِهِ الوَارِدَةِ في المقْطَعِ السَّابِقِ، مع ذِكْرِ مَعَانيهَا:

الاسم - الصفة	معناها

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج: ١٧-٢٢]

التفسير



﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾ يَقُولُ تعالى ذكرُهُ لنبيِّه محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ جاءَك يا مُحمَّدُ حَدِيثُ الجنُودِ، الذين تجنَّدُوا على اللهِ وَرَسُولهِ بأَذَاهُمْ ومَكْرِهِمْ؛ فهل بلغَكَ ما أَحَلَّ اللهُ بِهِم من البَأْسِ، وأَنزَلَ عَليهِم من النِّقْمَةِ التي لم يردَّهَا عَنْهُم أَحَدٌ؟

فيَكُونُ هذا بمثَابَةِ التَّقْرِيرِ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: إذا أَخَذَ الظَّالمَ أَخَذَه أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ هَذَانِ حَدِيثانِ مُخْتلفَانِ:

فأَمَّا حَدِيثُ فِرْعَونَ، فَقَدْ أَهْلَكَهُ اللهُ وجُنْدَهُ ونجَّى بني إِسْرَائيلَ.

وأَمَّا حَدِيثُ ثَمُودَ فَقَدْ أَهْلَكَهُم اللهُ عن بَكْرَةِ أَبِيهِم، وأَنْجَى صَالحًا والقِلَّة مَعَهُ.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾ أي: بل هَؤُلاءِ المشْرِكُون لا يزَالون مُسْتَمِرِّين في التَّكْذِيبِ والعِنَادِ الشَّدِيدِ لك، ولما جِئْتَ به، ولم يعتبِرُوا بمَنْ كانَ قَبْلَهُم من الكُفَّارِ.



التفسير

﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ أي: عَالمٌ بِهِم لا يخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِن أعْمَالِهِم، يَقْدِرُ أن يُنزِلَ بِهِم مَا أَنْزَلَ بمَنْ كان قَبْلَهُم، فلا يَشِذُّون عنه، لا عَنْ عِلْمِهِ ولا عَنْ سُلطانِهِ ولا عَنْ عِقَابِهِ.

والإِحَاطَةُ بالشَّيءِ: الحَصْرُ له من جَمِيعِ جَوَانبِهِ.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ هَذا رَدٌّ لكُفْرِهِم وإبْطَالٌ لتَكْذِيبِهِم وتحْقِيقٌ للحَقِّ، أيْ: ليسَ الأَمْرُ كَما قَالُوا، بلْ هُو كِتابٌ شَرِيفٌ عالِي الطَّبَقَةِ بينَ الكُتُبِ المنَزَّلةِ.

ووَصْفُ القُرآنِ بأنه مَجِيدٌ لا يَعْني أنَّ المجْدَ وَصْفٌ للقرآنِ فَقَطْ، بل هو وَصْفٌ للقُرْآنِ، ولمنْ تحمَّلَ هَذَا القرآنَ، فحَمَلَهُ وقَامَ بواجِبِه، فإنه سَيَكُونُ له المجْدُ والعِزَّةُ والرِّفعَةُ في الدُّنيَا والآخِرَةِ.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أيْ: محْفُوظٍ منَ التَّحْرِيفِ والتبْدِيلِ والتَّغْيِيرِ، ووُصُولِ الشَّيَاطِينِ إليْهِ.

والمرادُ: اللوْحُ المحفُوظُ الذي أثبَتَ اللهُ فِيهِ كلَّ شَيءٍ، وهُو أمُّ الكِتابِ، الذي قَالَ تعالى فِيهِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فوائد الآيات:



١

الاستفهامُ في القرآنِ، ليس المراد به الاستعلام، فإنَّ اللهَ سبحانه لا يستفهِمُ خلقَه عن شيءٍ، وإنما يأتي الاستفهامُ في القرآنِ لمعانٍ عَديدةٍ، منها: التقريرُ، والتوبيخُ، والعِتابُ، والتعجُّبُ، والتهْويلُ، والحثُّ، والتحقيرُ، والإخبارُ، والاستبعادُ، وهو أسلوبٌ بديعٌ انفرد به الخطابُ القرآني.



فوائد الآيات:

٢

جاءَ في بعضِ كتبِ التفسيرِ، أنَّ اللوحَ المحفوظَ في جَبهةِ إسرافيلَ، أو أنه مخلوقٌ من زَبرجدةٍ خَضْراءَ، وغير ذلك! وجميعُه لم يثبُتْ، بل هُو من الغَيْبِ الذي لا يُقبَلُ إلا بخبرِ الكتابِ أو السُّنةِ الصَّحيحةِ.

نشاط

١ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أجملت الآية حديث فرعون وثمود، اذكر ملخص حديثهما، بما وَرَدَ في القُرْآنِ العَظِيمِ.

....

....

٢ وَضِّح العَلاقَةَ بيْنَ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

....

....

٣ يردُ الاسْتفهامُ في القُرآنِ كثيرًا، اذكُرْ نماذِجَ من ذلك، موجِّهًا كلَّ استفهامٍ للمَعْنى الذي وُضِعَ له.

....

....





أخرج البيهقيُّ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نزلت ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ بمكَّةَ.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

[الطَّارِق: ١-١٠]

ما وَرَدَ في شَأْنِهَا:

عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صَلَّى مُعاذٌ المغْرِبَ فقرَأَ البقَرَةَ والنِّساءَ، فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفتَّانٌ أنت يا مُعاذُ، أما يَكفِيك أنْ تقْرَأَ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ونحوَ هذا؟**». أخرجه ابنُ حِبَّان، وصحَّحه الألبانيُّ.



التفسير

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ يقْسِمُ اللهُ تعالى بالسَّماءِ وَما جَعَل فِيها مِن الكَواكِبِ العَظِيمَةِ.

والسَّماءُ هو كلُّ مَا عَلاك، حتى السَّحَابُ الذي يَنْزِلُ منه المَطَرُ يُسَمَّى سَمَاءً، كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ هذا الاستفهامُ يَزِيدُهُ إبْهامًا وتفْخِيمًا وتعْظِيمًا، أي: ما أَعْلَمَك بالطَّارِقِ؟ ثمَّ فسَّرَه بقولِهِ:

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ أي: المضِيء، الذي يثقُبُ الظَّلامَ بنُورِهِ، فيَخرِقُ السَّماواتِ، فينفُذُ حتى يُرَى في الأرْضِ.

وإنما سُمِّيَ النَّجْمُ طارِقًا؛ لأنه إنما يُرَى بالليْلِ ويخْتَفِي بالنَّهارِ، فَشَأنُه كمَن يطْرُقُ النَّاسَ، أي: يزورهم ليْلًا.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ أي: ما كُلُّ نفْسٍ إلا عَليْها مِن اللهِ حَافِظٌ، يحْرُسُها من الآفَاتِ، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الرعد: ١١].

وقد بيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُهِمَّةَ هذا الحافِظِ بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي: لِيَتَفَكَّرِ الإنسانُ في ضعْفِ أَصْلِهِ الذي خُلِقَ منه، فهُو تَوْجِيهٌ للاعْتِرافِ بالمعَادِ؛ لأنَّ من قَدَرَ على البدء فهو قادِرٌ على الإعَادةِ بطَرِيقِ الأَوْلى، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ أي: المنيِّ؛ يخرُجُ مُتدفِّقًا من الرَّجُلِ.

ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي: من بين صُلبِ الرَّجُلِ وترائبِهِ أعلى صَدرِهِ، وهذا يَدُلُّ على عُمقِ مخرجِ هذا الماءِ، وأنه يخرجُ من مكانٍ مَكينٍ في الجَسَدِ.



التفسير

وقال بعضُ العُلماءِ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ أي: صُلبِ الرجل ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ ترائبِ المرأةِ.

ولكن هذا خِلافُ ظاهِرِ اللفظِ، والصَّوابُ: أن الذي يخرجُ من بين الصُّلبِ والترائبِ هو ماءُ الرَّجُلِ؛ لأن اللهَ تعالى ذكره في سِياقِ الحديثِ على الماءِ الدافقِ، وهو الخارجُ من الرَّجُلِ.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ أي: إنَّ اللهَ تعالى على بَعْثِ الإنسانِ بعْدَ مَوتِهِ قَادِرٌ، فإذا اعْتبَرَ بأَصْلِ مَنْشَئِهِ عَلِمَ أنَّ القادِرَ على ذلك قَادِرٌ على بعْثِهِ.

وَهَذا مِن بَابِ الاسْتدْلالِ بالمحْسُوسِ على الأَمْرِ المنْتَظَرِ المرْتَقَبِ، وهو قِياسٌ عَقْليٌّ واضح.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: تختبَرُ وتنْكَشِفُ سَرَائرُ الصُّدُورِ بما أخْفَتْهُ في الدُّنيَا، ويَظْهَرُ ما كَانَ في القُلُوبِ من خَيْرٍ وَشَرٍّ، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩-١٠].

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ فَمَا للإِنسَانِ مِن قُوَّةٍ أو عَشِيرةٍ يدْفَعُ بِهَا عَن نفْسِهِ، وَمَا لَهُ مِن ناصِرٍ يمتَنِعُ به مِن عَذَابِ اللهِ.

فوائد الآيات:

١

في التَّعْبيرِ بهَذِهِ الصِّيغةِ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ توكِيدٌ شَدِيدٌ، بأَنَّه مَا مِنْ نَفْسٍ إلا عَليْهَا من اللهِ رَقِيبٌ، يُراقِبُها، ويُحْصِي عَليْها، ويحفَظُ عَنْهَا، وهو مُوكَّلٌ بها بأمْرِ اللهِ، وهذا فِيهِ إشَارَةٌ إلى وُجُوبِ مُراقَبَةِ النَّفْسِ.



فوائد الآيات:

أنَّ الواجِبَ على المسْلمِ العِنايةُ بعَمَلِ القَلبِ أكثرَ من العِنَايةِ بِعَمَلِ الجَوَارِحِ؛ لأنه هُوَ الذِي عَلَيْهِ المَدَارُ، فَعَلَيْنَا أنْ نعتنِيَ بقُلوبِنا وأعْمَالها، وَعَقَائِدِها، وأن نخلصها من شَوَائبِ الشِّركِ والبِدَعِ، والحِقْدِ والبَغْضَاءِ، وَكَرَاهةِ ما أنزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَرَاهةِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وغير ذلك مما يجِبُ تنزيهُ القَلْبِ عنه.

نشاط

١ أكمِل الفَرَاغاتِ الآتيةَ:

أ إنما سُمِّيَ النَّجْمُ طارِقًا؛ لأنه ....

ب السَّمَاءُ هي ....

٢ ما الفائِدَةُ الرَّاجِعَةُ على الإنسانِ في نَظَرِهِ مِمَّ خُلِقَ؟

....

....

٣ ما الفَائِدَةُ من التَّعْبِيرِ عن الأعْمَالِ بالسَّرائرِ في قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾؟

....

....

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾

[الطَّارِق: ١١-١٧]



التفسير

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ هَذا عَوْدٌ مَرَّةً ثانيةً للقَسَمِ، فيُقْسِمُ اللهُ تعالى مَرَّة ثانِيَةً في نَفْسِ السُّورَةِ بالسَّمَاءِ التي تَرْجِعُ بالغَيْثِ، والمَطَرِ بعْدَ المطَرِ.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ أي: الأَرْضِ التي تتَصَدَّعُ وتنشَقُّ عن النَّباتِ والشَّجَرِ والثِّمارِ والأنْهَارِ، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس: ٢٦].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ وهذا هو المقْسَمُ عَليْهِ، أي: القُرآنُ حقٌّ ، يفصِلُ بينَ الحقِّ والباطلِ.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ أي: جِدٌّ ليس باللعِبِ، ولا الباطِلِ، ولا الهَذَيانِ.

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ أي: يمكُرُون بالنَّاسِ في دَعْوَتِهِم إلى خِلافِ القُرْآنِ، ويعْمَلون المَكَايدَ لرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.



التفسير

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وكَيْدُ اللهِ اسْتدْرَاجُهُ إيَّاهُم مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُون؛ وَذَلِكَ:

- لإظْهَارِ الحقِّ.
- لدَفْعِ ما جَاؤوا بِهِ مَنَ البَاطِلِ.
- ليُعْلَمَ بِهَذَا مَن الغَالِبُ؟ فإنَّ الآدَمِيَّ أَضْعَفُ وأَحْقَرُ مِنْ أنْ يُغَالِبَ القَوِيَّ العَليمَ في كيْدِهِ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أنظِرْهُم، ولا تسْتَعْجِلْ لَهُم، فَلا تَشْتغِلْ بالانتِقَامِ مِنْهُم، ولا تسْتعجِلْ بهِ.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي: قَليلًا، فالرُّوَيْدُ هو القَلِيلُ، وعندها تَرَى يا محمَّدُ مَاذا أَحَلَّ بِهِم، مِن العَذَابِ والنَّكَالِ والعُقُوبَةِ والهَلاكِ، كما قَالَ: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤].



فوائد الآيات:

١

وجُوبُ الأَخْذِ بكتابِ اللهِ، الفَاصِلِ بيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ، فإنَّ المسلمين لما تمسَّكوا بالقُرآنِ غَلبُوا الكفار، وَقَطَعُوا دَابِرَهُم، فلمَّا أَعْرَضُوا عن القُرآنِ هُزِموا، وَهَكَذا، فَكُلَّما بَعُدَ الإنسَانُ عن كِتَابِ اللهِ ابتعَدَتْ عنه العِزَّةُ، وابتَعَدَ عنْه النَّصْرُ.



فوائد الآيات:

٢ اشتَمَلتْ هذه السُّورةُ على مَعَانٍ عَظِيمَةٍ:

- الرَّقَابَةُ عَلَى كلِّ نَفْسٍ: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ .
- نفْيُ القوَّةِ والنَّاصِرِ يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾ .
- أن ما في القرآن حقٌّ وجِدٌّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾ .
- الوَعِيدُ: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ۝١٧﴾ .

نشاط

١ ما الشُّعُورُ الإيمانيُّ الذي يعتريك عِندَمَا تقرَأُ قولَهُ تَعَالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ ؟

٢ بيِّنْ مَعَانِيَ الكَلِمَاتِ الآتِيَةِ:

ذَات الرَّجعِ: ....

ذَات الصَّدْعِ: ....

رُوَيدًا: ....



﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾

[الأعلى: ١-٨]

فَضْلُها، وَمَا ورد في شَأْنِهَا:

عن عُقْبَةَ بنِ عَامرٍ الجُهَني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلوهَا في سُجُودِكُم». أخرجه أبو داود والحاكِمُ، وصحَّحَه.

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**» رواه مسلم.

وعن أُبيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يَقْرَأُ في الوِتْرِ بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. أخرجه النَّسائيُّ، وصححه الألباني.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لما نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: كلُّها في صُحُفِ إبراهِيمَ ومُوسى. يعني مَضْمونَها.



التفسير

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ التَّسْبِيحُ أي: التنْزِيهُ، أي: نَزِّه اللهَ عَن كُلِّ عَيْبٍ لا يَليقُ بَجَلالِهِ وعَظَمَتِهِ، فأمَرَ تعالى بتَسْبيحِهِ المتَضَمِّنِ لذِكْرِهِ وعِبادَتِهِ، والخُضُوعِ لجَلالِهِ، والاسْتِكَانَةِ لعَظَمَتِهِ.

وَذَكَرَ تسْبيحَ الاسْمِ؛ ليَكُونَ المعْنَى: سَبِّحْ ربَّك منزِّهًا اسْمَهُ، أي: عَمَّا كَانَ يفْعَلُهُ المشرِكُون من تَسْمِيَةِ اللهِ تعالى بغَيرِ مَا يليقُ به.

وَقِيلَ: تَسْبيحُ اسْمِ اللهِ أي: تسبيحُ ذاتِه؛ وَلذَا تأوَّلها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى جَعلَهَا في السُّجُودِ، فَكَانَ يَقُولُ: **سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلى**.

وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ من العُلُوِّ، وعُلُوُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ نَوْعَانِ:

عُلوُّ صِفةٍ، وعُلوُّ ذاتٍ.

أمّا عُلوُّ الصِّفة: فإنَّ أكْمَلَ الصِّفَاتِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

وأمّا عُلوُّ الذّاتِ: فهو أنَّ اللهَ تعالى فَوْقَ عِبادِهِ، مُسْتوٍ عَلَى عَرْشِهِ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ خَلقَ الخَليقَةَ وَسَوَّى كُلَّ مخْلوقٍ في أَحْسَنِ الهَيْئَاتِ، كقولِهِ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧].



التفسير

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ أي: الذي جعل الأشياءَ على مقاديرَ مخصُوصَةٍ، ثم هَدَى كلَّ خَلْقٍ إلى مَا يُناسِبُه، فتَجِدُ كُلَّ مَخْلوقٍ قَدْ هَدَاه اللهُ تعالى لما يحْتاجُ إليْهِ، كقولِهِ تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: ما يُرْعَى مِنْ جَمِيعِ أَصْنافِ النَّبَاتَاتِ والزُّرُوعِ، التي تَرْعَاها الحَيَوَاناتُ.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ الغُثاءُ: هو اليَابِسُ من النَّباتِ، أي: فجَعَلَ هَذَا المرْعَى الأَخْضَرَ يَابِسًا.

﴿أَحْوَىٰ﴾ أي: المَوْصُوفَ بالحُوَّةِ، وهِيَ مِن الأَلْوَانِ: سُمْرَةٌ تُقارِبُ السَّوادَ؛ لأنَّ الغُثَاءَ يابِسٌ فتَصِيرُ خُضرَتُهُ حُوَّةً.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي: سنَجْعَلك قَارِئًا لما يَأتِيك به جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ من الوَحْيِ، بحيث لا تنْسَى منه شَيْئًا، وهذا ضَمَانٌ من اللهِ تعالى بحِفْظِ القُرْآنِ من النَّقْصِ، ووَعْدٌ من اللهِ سُبْحانَه لنَبيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنْ يحْفَظَ عَلَيْهِ الوَحْيَ، وهو كقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] أي: إنَّ عَلَيْنا أنْ نجْمَعَه في صَدْرِك، وعَلَيْنا أن تقرأَهُ.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا ما شَاءَ اللهُ تعالى أنْ تنْسَاه، فإنَّ الأَمْرَ بيَدِهِ عَزَّوَجَلَّ.

وما شَاءَ اللهُ أن يُنسِيَهُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوْعَانِ:

الأولُ: ما شاءَ نَسْخَ تِلاوتِهِ، كقولِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كانَ فيمَا أُنزل الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنَيا فارْجِمُوهُما» ثم نُسِخَتْ.

الثَّاني: ما يَعرِضُ نِسْيَانُهُ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسْيانًا مُؤَقَّتًا كعامَّةِ البَشَرِ، مِثلُ مَا كانَ يَنْسَاهُ أحْيَانًا في صَلاتِهِ.



التفسير

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ أي: يعْلمُ ما يجْهَرُ به العِبادُ وما يخْفُونَهُ مِن أقْوالِهم وأفْعالِهم، فهو يَعْلمُ السِّرَّ والعَلانيَةَ، لا يخْفَى عَليْهِ من ذلك شَيْءٌ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ وهَذِه بِشارَةٌ أُخْرَى لرَسُولِ اللهِ ﷺ.

أي: نُسَهِّلُ عَليْك أفْعَالَ الخيْرِ وأَقْوالَهُ، وَنَشْرَعُ لك شَرْعًا سَهْلًا سَمْحًا، كما نُيسِّرُ عليك الوَحْيَ حَتَّى تحْفَظَهُ وتَعْلَمَهُ.



فوائد الآيات:



أنَّ الخطابَ الموجَّهَ للرَّسُولِ ﷺ في القُرْآنِ الكَرِيمِ ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ:

الأوَّلُ: أنْ يقُومَ الدَّليلُ على أنه خَاصٌّ به ﷺ فيختَصُّ به، كقَولهِ تبارَكَ وتعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾.

الثاني: أن يقُومَ الدَّليلُ على أنَّه عَامٌّ؛ فيَعُمُّ النَّبيَّ ﷺ وأُمَّتَهُ، كقَولهِ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ﴾ [المائدة: ٦].



الثالث: خَاصًّا بالنَّبي ﷺ لفْظًا، عَامًّا لَهُ وَللأُمَّةِ حُكْمًا، كقَولهِ تَعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾.



فوائد الآيات:



بشْرى من اللهِ تعالى لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأُمَّتِه أنَّ اللهَ تعالى تكَفَّلَ بحفْظِ كِتَابه، وجمْعِهِ في صَدْرِ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا تعهَّدَ بإقْرَائِه إيَّاه، وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحِيحِ عن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَالِجُ من التَّنْزِيلِ شِدَّةً إذا نَزَلَ جبريلُ، وَكَانَ ممَّا يحرِّكُ شَفَتيْهِ ولسَانَهُ، يُريد أن يحفَظَه ويخْشَى أن يتفلَّتَ عليْهِ، فقِيلَ له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧] أي: إنَّ علَيْنا أنْ نجمَعَهُ في صَدْرِك، وَعلَيْنَا أن تقْرَأه.



أنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرًا سَهْلًا في كُلِّ أمْرِهِ، فمَا خُيِّرَ بين أمْرَينِ إلا اخْتَارَ أيسَرَهُمَا كَمَا رَوَتْ عنه عَائشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيحين.

وفي صحيحِ البُخاريِّ: **«كانَتْ الأَمَةُ تَأْخُذُ بيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ به حَيْثُ شَاءَتْ»**.

نشاط

١ أكْمِلِ الفَرَاغاتِ الآتيةَ:

أ عُلوُّ اللهِ نوعَانِ: عُلوُّ .... ، وعُلوُّ ....

ب التَّسْبِيحُ هُوَ: ....

ج الغُثاءُ هُوَ: ....

٢ اذْكُرْ شَيْئًا مِن مَلامِحِ اليُسْرِ التي يجِبُ أنْ تَكُونَ في مُعَامَلاتك كمُسْلِمٍ.

٣ ما المرادُ بنِسْيَانِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقُرْآنِ؟

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾

[الأعلى: ٩-١٩]



التفسير

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي: ما دامت الذِّكرى مقبولةً، والموعظةُ مسموعةً، سواءٌ حصل من الذِّكرى جميعُ المقصودِ أو بعضُهُ.

ومفهومُ الآيةِ: أنه إن لم تنفع الذِّكرى، بأن كان التذكيرُ يزيدُ في الشرِّ، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًّا عنها.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ أي: سَيَتَّعِظُ بتَذْكرَتك من يخْشَى اللهَ تعالى، وَيعْلمُ أنّه سَيُجَازِيهِ على أَعْمَالهِ، فيَزْدادُ بالتَّذْكيرِ خَشْيةً وَصَلاحًا.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾ هَذا هُوَ القِسْمُ الثَّاني، وهم غَيرُ المنْتفِعين بالذِّكْرَى، وهو مَن يتجَنَّبُ الذِّكْرَى، ويبْعدُ عَنْها، وهو الأَشْقَى من الكُفَّارِ لإِصْرَارِهِ على الكُفْرِ باللهِ، وانْهِمَاكِه في مَعَاصِيه.



التفسير

﴿ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ العَظِيمةَ، وهِي نَارُ جَهَنَّمَ.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ أي: يُعذَّبُ عَذَابًا أَليمًا، مِن غَيرِ رَاحَةٍ بالموْتِ، ولا يحْيَى حَيَاةً كريمةً، حتى إنَّهم ليَتَمنَّوْن الموتَ فلا يحْصُلُ لهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى إِخْبَارًا عن أهْلِ النَّارِ: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: مَنْ تَطَهَّر مِن الشِّركِ، فآمَنَ باللهِ وَوَحَّدَه، وعَمِلَ بشَرَائعِهِ، وطهَّر نفسَهُ من الأخْلاقِ الرَّذيلةِ.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ذَكرَ اللهَ بقلبِهِ وَبلسَانِهِ؛ لأنه ينطِقُ فيه باسْمِ اللهِ، فيَقُولُ: سُبْحانَ اللهِ، والحمْدُ للهِ، واللهُ أكبَرُ؛ فيكُونُ ذاكِرًا لاسْمِ اللهِ.

﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي: ذَكَرَ اسْمَ اللهِ تعالى بالتعَبُّدِ له بالصَّلاةِ وغَيرِهَا من العَبَاداتِ.

وذَكَرَ اللهُ تعَالى الصَّلاةَ؛ لأنَّهَا مِيزانُ الأعْمَالِ وأشْرفُهَا وأجَلُّها، فكَانَ الواجِبُ المحافَظَةَ عليْها وَعَلى أرْكَانِهَا وَمَواقِيتِها.

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لكنَّكُم لا تفعْلون ذلك، بل تؤْثرُون اللذَّاتِ الفَانيَةَ في الدُّنيا، وترْضَوْن بِهَا، وتطمَئنُّون إليها.

عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَرَأ هذه الآيةَ، فقال: «أتدْرُون لم آثرْنا الحَياةَ الدُّنيا عَلَى الآخِرَةِ؟ لأَنَّ الدُّنيا حَضَرَت وعُجِّلَت لنا طيِّباتُها وطَعَامُهَا وشَرَابُهَا، ولَذَّاتُها وبَهْجَتُها، والآخِرَةُ غُيِّبَتْ عَنَّا، فأَخَذْنا العَاجِلَ، وتَرَكنا الآجِلَ».

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أي: والدَّارُ الآخِرةُ التي هي الجنَّةُ أفْضَلُ وأدْوَمُ من الدُّنيا.



التفسير

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أيْ: ما تقدَّمَ مِن فَلاحِ مَنْ تَزَكَّى وَمَا بَعْدَهُ.

وقيل: المرادُ أنَّ مَضْمُونَ السُّورَةِ كُلِّها ثابِتٌ في الصُّحُفِ الأُولى.

﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ أي: تتابعَتْ كُتُبُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ المنزلة على رسله أنَّ الآخِرةَ خيرٌ وأبْقَى من الدُّنيَا، وَقَدْ كانَ فِيهَا مِن المَوَاعِظِ ما تَلِينُ به القُلُوبُ وَتَصْلُحُ به الأَحْوَالُ.



فوائد الآيات:

١

أنَّ الناسَ في التَّذْكِرَةِ قِسْمَان:

- **الأولُ:** من يخْشَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَهُم مَنْ قَالَ فِيهِم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣].
- **الثاني:** من يتجنَّبُ الذِّكْرَى ولا ينْتَفِعُ بها، وهو الأَشْقَى، كما في سُورَةِ هُود: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾ [هود: ١٠٦].

٢

أنَّ الفَلاحَ بتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وأعْظَمُ صُوَرِ تزكيَةِ النَّفْسِ -بعْدَ قِيامِهَا بالتَّوْحِيدِ الخالِصِ- التَّزْكيَةُ باتِّباعِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بحيثُ لا يبتدِعُ في شَريعَتِهِ لا بقليلٍ ولا كثيرٍ، لا في الاعْتِقَادِ، ولا في الأقْوالِ، ولا في الأفْعَالِ، خِلافًا لما يصْنعُهُ بعْضُ المبْتَدِعَةِ في الأذْكَارِ المبتدَعَةِ، إما في نوْعِها، وإمَّا في كيْفِيَّتِها وَصِفَتِها، وإمَّا في أدَائها، كما يفْعَلُهُ بعْضُ أصْحَابِ الطُّرُقِ من الصُّوفيَّةِ ومَنْ شَاكَلَهُم.



فوائد الآيات:



٣ أنَّ اللّهَ تعالى رتَّبَ اسْتقَامَةَ العَبْدِ علَى أُمورٍ ثَلاثَةٍ، حَسَبَ ترتيبِهَا المعْنَوي:

الأول: إزالةُ خَبَائِثِ النَّفْسِ من عَقَائدَ باطِلةٍ ونحوِه، وهو المُشَارُ إليْهِ بقَوْلِهِ: ﴿تَزَكَّىٰ﴾.

الثاني: اسْتِحْضَارُ مَعْرفَةِ اللهِ بصِفَاتِ كَمالِهِ وحِكْمَتِهِ ليَخَافَهُ ويَرْجُوه، وهو المُشَارُ إليْهِ بقَوْلِهِ: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾.

الثالث: الإقْبالُ على طاعَتِهِ وعِبَادَتهِ وهو المُشارُ إليْهِ بقَوْلِهِ: ﴿فَصَلَّىٰ﴾.

نشاط

١ ما السِّرُّ في إتيَانِ قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، بعْدَ قَوْلِهِ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؟

ارْبطْ بينَ هذا الأمْرِ للنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيْنَ مَا ينْبَغِي أنْ يَكُونَ عَليْهِ طَالِبُ العِلْمِ.

....

٢ قالَ تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ كيف نَفَى اللهُ عن أَهْلِ النَّارِ الموْتَ والحيَاةَ؟

....

٣ أَحْيانًا تجِدُ تشَابُهًا بيْنَ دِينِنَا الإسْلامِيِّ الحَنيفِ، وَبيْنَ ما تَسْمَعُهُ من بَعْضِ أهْلِ الدِّياناتِ الأُخرَى، فبِمَ تُفَسِّر ذَلك؟ أَجِبْ على ضَوْءِ مَا دَرَسْتَ في الآيَاتِ.

....





﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾

[الغاشِيَة: ١-٧]



التفسير

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ أي: القِيَامةِ، التي تغْشَى وتعُمُّ النَّاسَ بالأهْوالِ والكُرُوبِ.

والاستفهامُ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ للتشويقِ، وَكَوْنُ الاسْتِفْهامِ بـ ﴿هَلْ﴾ المفِيدَةِ مَعْنَى (قد) فيه مَزِيدُ تَشْويقٍ، كقَوْلِهِ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [النازعات: ١٥].



التفسير

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ وَهِيَ وُجُوهُ أَهْلِ الكفْرِ باللهِ تعالى، خاشِعَة ذَليلة، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وَقالَ تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ [المعارج: ٤٤].

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ عَامِلةٌ في النَّارِ، مُتعبَةٌ فِيها، تكبَّرَت في الدُّنيا عَن طَاعَةِ اللهِ، فأَعْمَلَهَا وأَنْصَبَهَا وأَتْعَبَهَا في النَّارِ، بما تُكلَّفُ به مِن جَرِّ السَّلاسِلِ والأَغْلالِ، والخَوْضِ في نَارِ جَهَنَّمَ، وَهَذا -على الرَّاجِحِ من أقْوالِ المفَسِّرِين- بيانٌ لحالِهِم في الآخِرَةِ، وليْسَ لأحْوَالِهِم في الدُّنيا، كما قال به جمعٌ من المفسِّرين؛ لأنَّهُ قيَّدَهُ بالظَّرْفِ، وهو يَومُ القِيَامةِ، ولأنَّ المقْصُودَ هُنا بَيَانُ وَصْفِ أهْلِ النَّارِ عُمُومًا، فليس فِيهِ تَعَرُّضٌ لأَحْوالِهِم في الدُّنيا.

﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾ تَرِدُ هذه الوُجُوهُ نارًا حَامِيَةً قد حَمِيَتْ واشْتَدَّ حَرُّها.

﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ يُسْقَى أصْحَابُ هذه الوُجُوهِ مِنْ شَرَابِ عَينٍ قَدْ أَنَى حَرُّها، أي: بَلَغَ غايتَهُ في شِدَّةِ الحَرِّ، وَمِنْهُ قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمن: ٤٤].

﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ﴾ **الضَّريعُ**: نبْتٌ يُقَالُ له الشِّبرِقُ، فإذا يَبِسَ سُمِّيَ ضَرِيعًا، وهو سَامٌّ وذُو شَوكٍ عَظِيمٍ، مع الاختلافِ العَظِيمِ بين ضَريعِ الدُّنيا وضَرِيعِ النَّارِ.

فهَذا طَعَامُ أهلِ النَّارِ، شَرُّ الطَّعَامِ وأبْشَعُهُ وأخْبَثُهُ.

﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ فلا يحصُلُ به مَقْصُودٌ، ولا ينْدَفِعُ به محْذُورٌ، ولا يُغْني لا ظَاهِرًا ولا باطِنًا.



فوائد الآيات:

١- في قوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أنَّ أُمُورَ الآخِرَةِ لا تُقاسُ بأُمُورِ الدُّنيا؛ وذلك أنَّ عَيْنَ الماءِ تُطْفِئُ النَّارَ، لكن هذا في الدُّنيا، أمَّا الآخِرَةُ، فإنَّ النارَ يوجد بها عينُ ماءٍ يُسقَى منها أهلُها، فَأَحْوالُ الآخِرَةِ لا تُقاسُ بأَحْوالِ الدُّنيا؛ للاخْتِلافِ العَظِيمِ بَيْنَ الدَّارَيْنِ.

٢- شِدَّةُ وعِظَمُ عَذابِ أَهْلِ النارِ، فالجُوعُ من ضُرُوبِ تَعْذِيبِهِم، فيَسْألون الطَّعامَ فيُطْعَمُون الضَّرِيعَ، فلا يدفَعُ عنهم أَلَمَ الجُوعِ.



نشاط

١- عدِّدْ أسماءَ يَوْمِ القِيامَةِ التي مَرَّتْ عليك مِنْ خِلالِ دِراسَتِك لهَذَا المنْهَجِ.

....

....

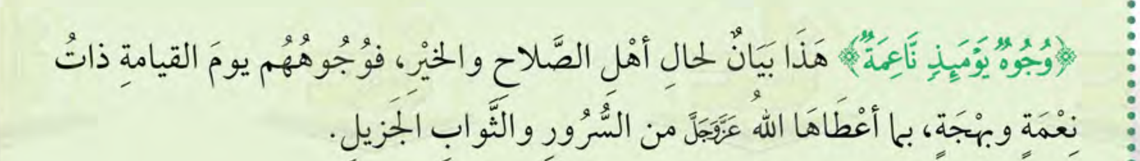
٢- ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ كَيْفَ تدُلُّ هَذِهِ الآيةُ عَلَى أنَّ أحْوالَ الآخِرَةِ تخْتَلِفُ عن أحْوالِ الدُّنيا؟

....

....



التفسير



﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ هَذَا بَيَانٌ لحالِ أَهْلِ الصَّلاحِ والخيْرِ، فوُجُوهُهُم يومَ القيامةِ ذاتُ نِعْمَةٍ وبهْجَةٍ، بما أعْطَاهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ من السُّرُورِ والثَّوابِ الجَزيلِ.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: لعَمَلها الذي قدَّمَتْه في الدُّنيا من الأَعْمَالِ الصَّالحَةِ، والإحْسَانِ إلى عِبَادِ اللهِ ﴿رَاضِيَةٌ﴾ فَقَدْ وَجَدَتْ ثوابَهُ مُدَّخَرًا، فحَمِدَتْ عُقْباه، وَرَضِيَتْ به.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ في أَعْلى علِّيِّين، وَمَنَازلها مَسَاكنُ عَاليةٌ، ووَسَطُها الفِرْدَوْسُ الذي فَوْقَه عَرْشُ اللهِ سُبْحانه، و لها غُرَفٌ ومِنْ فَوقِهَا غُرَفٌ مَبْنيَّةٌ، تجْري مِن تحْتِها الأَنهارُ.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أي: لا تسْمَعُ في الجنَّة كَلِمَةَ لغْوٍ أو باطلٍ أو سَاقطًا من الكَلام، أو شَتْمًا ولَعْنًا، بل كلامُهُم تسْبيحٌ وتحْميدٌ وتهْليلٌ وتكْبِيرٌ، فَيُلهَمُون التَّسْبيحَ كما يُلهَمُون النَّفَسَ، فلا يَشُقُّ عليْهم، ولا يَتكلَّفُونه.



التفسير

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أي: عُيُونٌ تجْرِي مِياهُهَا، وَتَتَدفَّقُ بأَنواع الأَشْرِبَةِ المسْتَلذَّة، وَقَدْ بيَّنَها اللهُ تعالى بقولِهِ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ عَالِيَةٌ مُرْتَفِعَةٌ بما عَلَيْهَا من الفُرُشِ اللينة، وَهِي أيْضًا عَالِيَةُ القَدْرِ، فهِيَ مَرْفُوعَةٌ ذَاتًا وقَدْرًا ومحَلًّا.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ أي: كُـؤوسٌ مَوْضُوعَةٌ مُهيَّأةٌ بين أيْدِيهِم يَشْرَبُون مِنْها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وَسَائدُ من الحَرِيرِ والإِسْتبْرَقِ وغيرِهِمَا مما لا يعْلمُهُ إلا اللهُ، قد صُفَّتْ للجُلوسِ والاتِّكاءِ عليها، واحدةً إلى جَانبِ الأُخْرَى.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ الزَّرَابيُّ هِي أَعْلى أنواعِ الفُرُش والبُسُطِ، فهي مَنشُورَةٌ في مجَالسِهِم من كلِّ جَانبٍ.



فوائد الآيات:

١ - أنَّ نعِيمَ الآخِرَةِ ومَتَاعَهُ -والذي ذُكِرَ شَيءٌ منه في الآياتِ- لا يُشْبِهُ ما في الدُّنيا إلا الأسماءَ، فالأَسْمَاءُ وَاحِدَةٌ والحَقَائِقُ مخْتَلفَةٌ؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

٢ - يصف الله تعالى في كتابه العزيز الجنة وما فيها من نعيم وخيرات، تشويقًا لها، وحثًّا على العمل من أجلها، والعمل من أجل دخول الجنة مذهب السلف الصالح خلافًا للمبتدعة.

نشاط

١ أَجْرِ مُقَارَنَةً بيْنَ أحْوَالِ أهْلِ النَّارِ وأَحْوالِ أَهْلِ الجنَّةِ حَسَبَ ما وَصَفَتْهُ السُّورَةُ.

....

....

....

....

....

٢ مَعْنَى (العُلوِّ) متكرِّرٌ في وَصْفِ أَحْوالِ أهْلِ الجنَّةِ، وضِّحْ هَذا المعْنَى، سَوَاءٌ كانَ ظَاهِرًا في بعْضِ الآياتِ أَوْ خَفِيًّا.

....

....

....

....

....

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

[الغاشية: ١٧-٢٦]



التفسير

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ استِفْهَامٌ للتَّوْبيخ، أي: أَفَلا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ المنْكِرُون قُدْرَةَ اللهِ على هَذِهِ الأُمُورِ، إلى الإِبلِ كيفَ خَلقَها وسخَّرَها وذَلَّلها لهم؟

وذَكَرَ الإِبلَ ولم يذكُرْ غَيْرَهَا من الحَيوانَاتِ؛ لأَنَّها أَكْثَرُ شَيءٍ يُلابِسُ النَّاسَ في ذلك الوَقْتِ، ولأَنَّها أكثَرُ الحَيوانَاتِ نَفْعًا للعِبَادِ.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي: وَينْظُرُون إلى السَّمَاءِ كيْفَ رُفِعَتْ بِدُونِ عَمَدٍ، بما فِيهَا من النُّجُومِ والشَّمْسِ والقَمَرِ وغيرِ هَذا من الآياتِ العَظِيمَةِ.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ بهذِهِ الهَيْئَةِ البَاهِرةِ، وكيْفَ حَصَلَ بِهَا اسْتِقْرَارُ الأَرْضِ، وَثَباتُها عن الاضْطِرابِ، وأَوْدَعَ فِيها مِن المنافِعِ الجَلِيلَةِ الكَثِيرَ.



التفسير

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: وَينْظُرون كيْفَ جَعَل اللهُ هَذِه الأَرْضَ الواسِعَةَ سَطْحًا وَاسِعًا؛ ليتمكَّنَ الناسُ من العَيْشِ فِيهِ بالزِّراعَةِ والبِناءِ وغيرِ ذلك، وهذا التَّسْطِيحُ لا يُنافي كُرَوِيَّتَها، لشِدَّةِ سعَتِها.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: ذكِّر النَّاسَ كُلَّهُم، وَعِظْهم وأَنذِرْهم وبَشِّرْهُم، فأنت لسْتَ إلا مُذَكِّرًا، أمَّا الهِدايَةُ فَهِيَ بيَدِ اللهِ تعالى.

والذِّكْرى لا تنْفَعُ كلَّ أَحدٍ، بَلْ المؤْمِنَ فَقَطْ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

فإنْ ذُكِّرتَ، ولم تَجِدْ مِن قلبِك تأثُّرًا وانتِفاعًا فَاتَّهِمْ نفْسَكَ، واعْلمْ أن في إيمانِك نَقْصًا.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: ولم تُبعَثْ مُسلَّطًا عليْهِم، مُوكَّلا بأعْمالِهم، فإذا قُمْتَ بما عَليْكَ، فلا عَليْكَ بعْدَ ذلك لوْمٌ، كقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ أي: لكن مَنْ تَولى عن الطَّاعَةِ وكَفَرَ باللهِ، بعْدَ التَّذْكيرِ.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ الدَّائمَ الشَّديدَ، وَهُوَ دُخولُ النَّارِ في الآخِرَةِ، وهو أَعْظَمُ مِن عَذَابِ الدُّنيَا، بالجُوعِ والقَحْطِ ونحْوِه.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أي: رُجُوعَ الخَليقَةِ وجَمْعَهُم يوْمَ القِيامَةِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ فنُجازِيهم عَلَى ما عَمِلُوا من خَيْرٍ وَشَرٍّ.

لطائف وفوائد:

١

تسطيح الأرض لمعايش الناس لا ينافي كرويتها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥] ومَعْلومٌ أنَّ الليلَ والنَّهارَ يتعاقَبانِ عَلَى الأَرْضِ، فإذا كانا مكوَّرَيْنِ لزِمَ أنْ تكُونَ الأرْضُ مُكَوَّرَةً.

وقال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٣]، وَهَذا يوْمَ القِيامَةِ، وهذا يعْني أنَّها الآنَ غَيْرُ ممدُودةٍ، بل مُكوَّرَةٌ.

وكذلك هُو الوَاقِعُ المحْسُوسُ المتيقَّنُ؛ لأنك لو سِرْتَ بخَطٍّ مُسْتَقِيم مِن أيِّ نقطةٍ على الأَرْضِ مُتَّجِهًا غَربًا لأتيْتَ من ناحِيَةِ الشَّرْقِ إلى النُّقْطةِ التي انطلقْتَ مِنْها، وَكَذَلِكَ شَمالًا وَجَنُوبًا.

فَدَلَّ على ذلك النَّقْلُ والعَقْلُ والحِسُّ والمُشَاهَدَةُ.

٢

بيان دَوْرِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هَذِه الدَّعْوة ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ وهو دَوْرُ كلِّ دَاعِيَةٍ بعدَهُ، التذكيرُ، والحِسَابُ بعدَ ذلك على اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

٣

أنَّ الهِدَايَةَ بيَدِ اللهِ تعالى، لا يمكنُ أنْ نهْدِيَ، ولا أَقْرَبَ النَّاسِ إلَيْنَا إلا بإذْنِهِ تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦] فلا تَجْزَعْ إذا ذكَّرْتَ إنْسَانًا وَوَجَدْتَه يُعَانِدُ أو يُخَاصِمُ؛ لأنَّ الهُدَى بيَدِ اللهِ تعالى.

نشاط

١ مِنْ خِلالِ هَذِهِ الآياتِ كيْفَ نسْتَطِيعُ أنْ نجْعَلَ العُلومَ الطَّبِيعِيةَ تابِعَةً للعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ؟ وَضِّحْ ذلك.

....

....

....

....

٢ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ الدَّاعِيَةُ الذي لا يُسْتَجَابُ له، مَاذا يَسْتَفِيدُ مِن هَذِه الآيةِ؟

....

....

....

....

٣ أَشَارَت الآياتُ إلى أَنواعٍ من العُلومِ الطَّبِيعيَّةِ، اذْكُرْهَا.

....

....

....

....





﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

[الفَجْر: ١-١٤]

مَا وَرَدَ في شَأْنِها

عَنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صَلى مُعاذٌ صَلاةً، فَجاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى مَعَه فطَوَّلَ، فَصَلَّى في ناحِيَةِ المسْجِدِ ثم انْصَرَفَ، فبلغَ ذلك مُعَاذًا فقال: مُنَافِقٌ. فَذَكَرَ ذلك لرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ الفَتَى، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُ أُصَلِّي مَعَهُ فَطَوَّلَ عَلَيَّ، فانْصَرَفْتُ وَصَليْتُ في ناحِيَةِ المسْجِدِ. فقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَتَّانٌ يا مُعَاذُ؟! أَينَ أَنْتَ مِنْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟!» أَخْرَجَهُ النَّسَائيُّ بإِسْنادٍ صَحِيحٍ.



التفسير

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ هذا قَسَمٌ بالفَجْرِ، وَهُو النُّورُ السَّاطِعُ الذِي يَكُونُ في الجِهَةِ الشَّرْقيَّةِ قُرْبَ طُلوعِ الشَّمْسِ.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عَشْرِ ذي الحجَّةِ، وقيل: العَشْرُ الأواخِرُ مِن رَمَضَان.

وفي صَحِيحِ البُخَاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ -يعْني العَشْرَ مِنْ ذِي الحِجَّة-. قَالُوا: وَلا الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ، إِلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**».

﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ قسم من الله عَزَّوَجَلَّ بكلِّ ما هو زوجٌ وفردٌ، من العباداتِ ومن الأيامِ وغيرها.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ هذا قَسَمٌ بالليلِ وَقْتَ سَرَيانهِ وإرْخَائِهِ ظَلامَهُ على العِبَادِ.
والليلُ في الشرع يَسِيرُ، فيَبْدَأُ بالمغْرِبِ وينْتَهي بطُلوعِ الفَجْرِ.

﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ **الحِجْرُ**: العَقْلُ، أي: هَلْ فِيما ذُكِر مَا يكْفِي في القَسَمِ لمنْ له عَقْلٌ؟ وَمَعْلومٌ أنَّ بعْضَ ذلك يكْفِي مَن كان له قلْبٌ.
وإنما سمِّي العَقْلُ حِجْرًا؛ لأنه يمنَعُ الإنْسَانَ من تَعَاطِي ما لا يَليقُ، فالحَجْرُ هو المنْعُ؛ لذا يُقالُ: حُجِرَ على الشَّخْصِ، أي: مُنِعَ من التصرُّفِ في مَالِهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ أي: ألم ترَ بقَلبِك وبَصِيرَتك كيف فَعَلَ اللهُ بهذه الأُمَّةِ الطَّاغِيَةِ المتمرِّدةِ الخارِجَةِ عن طاعةِ اللهِ تعالى؟!
وكانوا قَدْ بَعَثَ اللهُ فِيهِم رَسولَهُ هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَذَّبوه وَخَالَفُوه، فأنجَاه اللهُ من بينِ أَظْهُرِهم ومَن آمَنَ مَعَه مِنْهُم، وأهْلَكَهُم بريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].



التفسير

وقد ذَكَرَ اللهُ قِصَّتَهُم في القُرْآنِ في غَيْرِ مَوْضِعٍ، لِيَعْتَبِرَ بِمَصْرِعِهِم المؤْمِنُون.

والخِطَابُ في الآيَةِ لِكُلِّ من يُوجَّهُ إليهِ هَذَا الكِتَابُ العَزِيزُ، وَهُم البَشَرُ كُلُّهُم، بل والجِنُّ أيضًا.

﴿إِرَمَ﴾ قَبِيلَةٌ من قَبَائِلِ عَادٍ.

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أي: الأبنِيَةِ القوِيَّةِ، والأَعْمِدَةِ الرَّفِيعَةِ.

﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ أي: لم يُصْنَعْ مِثْلُها في البِلادِ؛ لأَنَّها قَوِيةٌ مُحْكَمَةُ الصُّنْعِ.

﴿وَثَمُودَ﴾ وَهُمْ قَوْمُ صَالحٍ، وَمَسَاكِنُهُم مَعْروفَةٌ إلى الآنَ.

﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أي: نَحَتُوا بقُوَّتِهم الصُّخُورَ في وَادِي ثمُودَ، فاتَّخَذُوهَا مَسَاكِنَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ أي: الجُنُودِ الذين يَشدُّون له أمْرَه، كما تُثَبِّتُ الأَوْتادُ ما يُثَبَّتُ بها.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ وَهُم عَادٌ وثمُودُ وفِرْعَوْن ومَنْ تَبِعَهُم، فإِنَّهُم طَغَوْا في بلادِ اللهِ، وآذَوْا عِبادَ اللهِ، في دِينهم ودُنيَاهُم.

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ وهو العَمَلُ بالكُفْرِ وَغَيْرِهِ مِن المعَاصِي، والسَّعْيُ في مُحَارَبَةِ الرُّسُلِ، وَصَدُّ النَّاسِ عن سَبيلِ اللهِ تعالى.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ فأَنزَلَ اللهُ بهِم عَذابَهُ، وأَحَلَّ بِهِم نقْمَتَه، بما أفْسَدُوا في البِلادِ، وَطَغَوْا عَلَى عبادِ اللهِ فيها، فَكَانَ عَذَابًا شَدِيدًا، كالسَّوْطِ في سُرعَةِ إِصَابتِه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ فهو سُبْحَانه يَرَى وَيَسْمَعُ، وَبالمرْصَادِ لمنْ عَصَاه، فيُمْهِلُهُ قَليلًا، ثم يأْخُذُه أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ.



فوائد الآيات:

١

في قوله: ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ أن الآدَمِيَّ يمكِنُ أن يُوصَفَ بأنه خَلَقَ، فيقال: خَلقَ كَذَا، ومنه قولُ النبيِّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المصَوِّرين: «يُقَالُ لهم أَحْيوا ما خَلقْتُم». أخرجه البخاري ومسلم.

لكن الخلْق الذي يُنْسَبُ للمَخْلوقِ ليْسَ هُو الخَلْقَ المنْسُوبَ إلى اللهِ، فالخَلْقُ المنسُوبُ إلى اللهِ إيجادٌ بَعْدَ عدَمٍ، أما الخلْقُ المنسوبُ لغيرِ اللهِ فهو مجرَّدُ تحْويلٍ وتغييرٍ لشَيءٍ مَوْجُودٍ.

٢

أَقْسَمَ اللهُ تعالى بالليْلِ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ لما في سَاعَاتِهِ من العِبَاداتِ كصَلاةِ المغْرِبِ، والعِشَاءِ، وقيامِ الليلِ، والوِترِ وغيرِ ذلك.

ولأنَّ في الليلِ مُناسَبَةً عَظِيمَةً، وهي أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْزِلُ كُلَّ ليْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا، حِينَ يبْقَى ثُلُثُ الليْلِ الآخِرُ، فيَقُولُ: «مَن يسْألني فأُعْطِيَهُ، مَن يَدْعُوني فأَسْتَجِيبَ له، مَن يَسْتَغْفِرُني فأَغْفِرَ له» أخرجه البخاري ومسلم.

أنَّ هذه الأَمَّةَ لن تهلكَ بما أُهْلِكَتْ به الأُمَمُ السَّابقَةُ، ولكنْ قَد تَهْلكُ بأنْ يجْعَلَ الله بأْسَهُم بيْنَهُم، فتَجْرِي بينَهُم الحُرُوبُ والشَّحْناء والفِتَنُ، ويكونُ هَلاكُ بعْضِهِم على يدِ بعْضٍ؛ ولهذا يجبُ علَينا أن نحْذَرَ الفِتَنَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ.

٣

نشاط

١ ضعْ أمامَ كلِّ عنوانٍ مما يأتي حَديثًا نبَويًّا:

العُنْوانُ	الحَدِيثُ
ماورد في سُورَةِ الفجْرِ	
فَضْلُ الليالي العَشْرِ	
فَضْلُ الثُّلثِ الأَخيرِ من الليْلِ	

٢ بيِّن مَعَانيَ الكَلِمَاتِ الآتية:

أ ﴿حِجۡرٍ﴾ ....

ب ﴿إِرَمَ﴾ ....

ج ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ ....

د ﴿جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ﴾ ....

٣ قارِن بين وصْفِ الله تعالى لأصْحَابِ الحَضَاراتِ العَظِيمَةِ السَّابقَةِ وإهلاكِهم، وانبهارِ الناسِ اليوْمَ بأصْحَابِ الحضاراتِ الكبيرةِ المعَاصِرَةِ.

....

....

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾

[الفجر: ١٥-٢٠]



التفسير

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ الابتلاءُ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ يكونُ بالخيرِ وبالشرِّ كما قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقد أخْبَرَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في هذه الآيةِ عن طَبيعةِ الإنسانِ، وأنه جَاهِلٌ ظَالمٌ، يظُنُّ أن إِكْرامَ اللهِ في الدُّنيا وإنعَامَهُ عَليْهِ يدلُّ على كَرامتِهِ عِنْدَه وقُرْبِهِ منه.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ أي: وإذا ابتَلاهُ بالفَقْرِ، فَضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَه، فيَعْتقِدُ أنَّ هذا إِهَانةٌ مِنَ اللهِ تعالى له.

﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وَزَجْرٌ وإِبطَالٌ، أي: ليس الأَمْرُ كما يظُنُّ الإنسانُ، فليْسَ كلُّ من نعَّمَهُ في الدُّنيَا فهو كرِيمٌ عَليْهِ سُبْحَانه، ولا كلُّ مَن قدَرَ وضيَّقَ عليه رِزْقَه فهُو مُهَانٌ عِنْدَه.



التفسير

﴿بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ أي: فَأَنتُم إذا أَكْرَمَكُم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالنِّعَمِ لا تَعْطِفُون على المسْتحِقِّين للإِكْرَامِ وَهُم اليَتَامى، والذِين قَدْ انكَسَرَتْ قُلوبُهُم بفَقْدِ الأَبِ.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ لا يحُضُّ بعْضُكم بَعْضًا على أن يطعمَ المِسْكينَ، وإذا كان لا يحُضُّ غَيْرَه فهو لا يُطْعِمُ بنَفْسِهِ .

﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ أي: تأكُلون المِيرَاثَ أَكْلًا شَدِيدًا، فيَأكُلُ نَصِيبَهُ ونصِيبَ غيرِهِ.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ أي: تحبُّون المالَ وجَمْعَهُ، وَتُولعُون بِهِ كَثِيرًا.

يقال: جَمَّ الماءُ في الحُوضِ، إذا كثُرَ واجْتَمَعَ.

والمعنى: إنكم لا تُدْرِكُون مَعْنَى الابتلاءِ، فلا تحاوِلون تَجَاوُزَه بإِكْرامِ اليَتِيمِ، والتَّوَاصِي عَلَى إطْعَامِ المِسْكِينِ، بل أنتم على العَكْسِ تأكُلون المِيرَاثَ أَكْلًا شرِهًا؛ وتحبُّون المالَ حُبًّا كَثِيرًا.

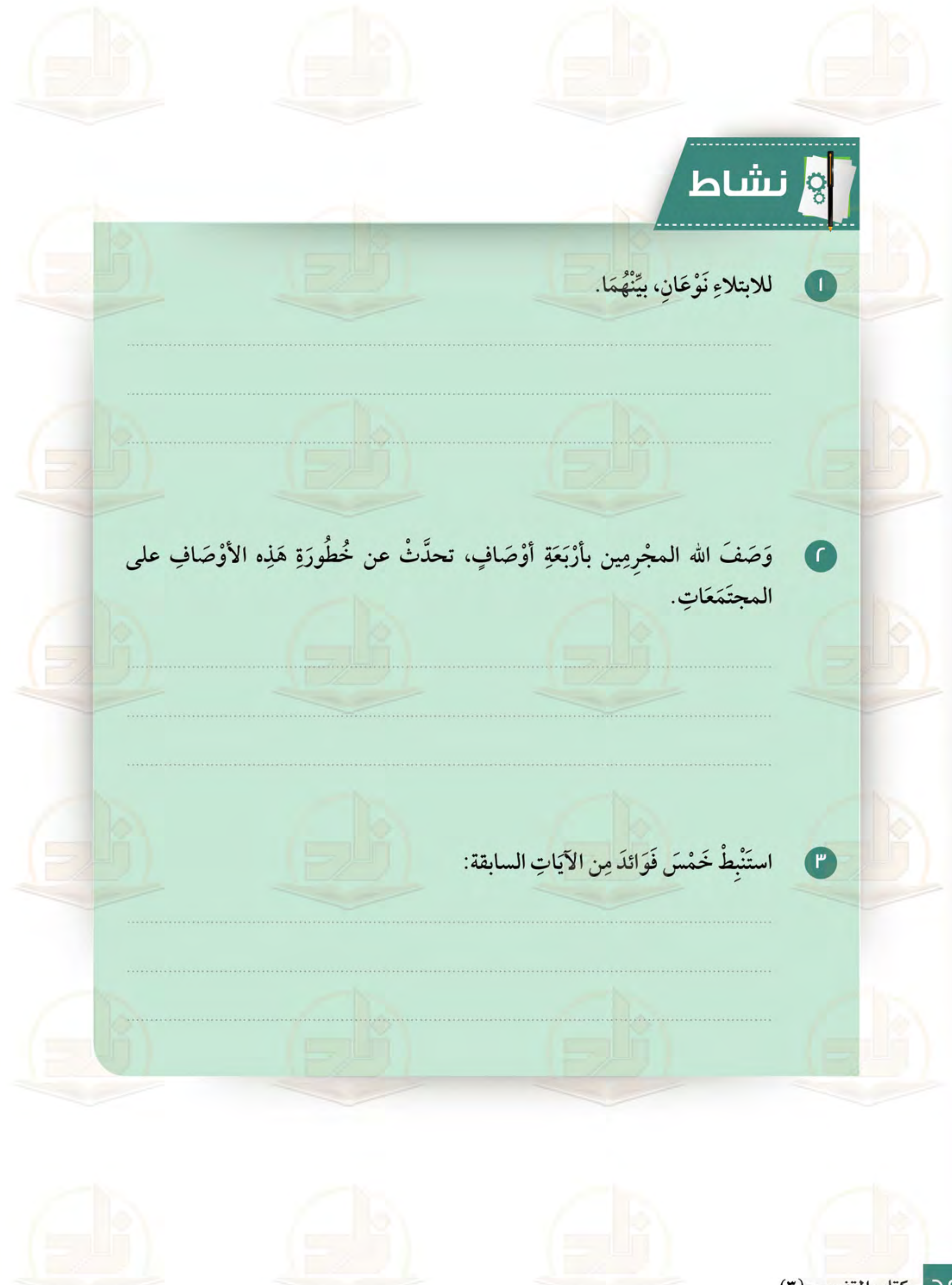
فوائد الآيات:



١- قُصُورُ نَظَرِ الإنسانِ واعتبارُهُ الغِنَى والفَقْرَ مِقْيَاسًا عِندَ اللهِ تعالى؛ وَذلك أنَّ المَالَ والجَاهَ عِنْدَ النَّاسِ هُمَا كُلُّ شَيءٍ؛ ومِن ثَمَّ كان حِرْصُهُم على المالِ عَظِيمًا، وحبُّهُم له حُبًّا كَبِيرًا.



٢- أنَّ حَالةَ الإنسانِ في الحيَاةِ الدُّنيا ليْسَتْ دَليلًا عَلَى مَنْزِلتِهِ عِنْدَ اللهِ تعالى، فرُبَّ رجلٍ في نِعْمةٍ في الدُّنيا هو مَسْخُوطٌ عليه عندَ اللهِ تعالى، ورُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَطْرودٍ بالأَبوابِ لَوْ أَقْسَمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ اللهُ.



نشاط

١ للابتلاءِ نَوْعَانِ، بيِّنْهُمَا.

٢ وَصَفَ الله المجْرِمِين بأَرْبَعَةِ أَوْصَافٍ، تحدَّثْ عن خُطُورَةِ هَذِه الأَوْصَافِ على المجتَمَعَاتِ.

٣ استَنْبِطْ خَمْسَ فَوَائدَ مِن الآيَاتِ السابقة:

ثُمَّ بعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ حَقِيقةَ حَالِهِم المنْكَرَةِ، في خَطَأِ تصوُّرِهِم في الابتلاءِ بالمنْعِ والعَطَاءِ، والفَقْرِ والغِنَى، جَاءَ التَّهْدِيدُ بيَوْمِ الجَزَاءِ، فقال:

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

[الفجر: ٢١-٣٠]



التفسير

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ أي: ليس ما أَحْبَبْتُمْ من الأَمْوالِ، وتنافَسْتُم فِيهِ من اللذَّاتِ، بباقٍ لَكُم.

بل أمَامَكُم يومٌ عَظيمٌ، وهَولٌ كبيرٌ، تُدَكُّ فيه الأَرْضُ والجِبالُ دكًّا بعْدَ دَكٍّ، وتحطَّمُ مَعَالمُها، وتُحرَّكُ تحْرِيكًا شَدِيدًا، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١].

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: صفًّا بعْدَ صَفٍّ، فيَجِيءُ اللهُ تعالى للفَصْلِ بيْنَ العِبادِ مَجِيئًا يَليقُ بجَلالِه.

وتجِيءُ الملائكةُ الكِرَامُ، أهْلُ السَّماواتِ كُلُّهم، صَفًّا صَفًّا، حتى يُحِيطُوا بالخَلقِ كُلِّهِ.



التفسير

﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ ﴾ تَقُودُها الملائكَةُ بالسَّلاسِلِ.

عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بجَهَنَّم يَوْمَئِذٍ لها سَبْعُون ألفَ زمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سَبْعُون ألفَ مَلَكٍ يجُرُّونَها**» أخرجه مسلم.

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ فيتذكَّر الإنسَانُ -حَسْرةً وَنَدَامةً- مَا أسلَفَه في قَدِيمِ دَهْرِهِ، من شَرٍّ وَسُوءٍ وتقْصِيرٍ في الدُّنيا.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ فَقَدْ فَاتَ أوانُ الذِّكْرَى، وَذَهَبَ زَمَانُها.

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ يَقُولُ ذلك مُتَحَسِّرًا على ما فرَّطَ في جَنْبِ اللهِ، وَمَا سَلفَ من المعَاصِي، أو قِلةِ الطَّاعَاتِ إن كان مُقَصِّرًا فيها: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ أي: الباقِيَةِ الدَّائمَةِ، وهي حَياةُ الآخِرَةِ السَّالمةُ من العَذَابِ والتَّنْغِيصِ.

﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ أي: ليس أَحَدٌ أشدَّ تعذيبًا من اللهِ لمن عَصَاه يوْمَئِذٍ.

وقُرِئَ: ﴿لَّا يُعَذَّبُ﴾ بفَتْحِ الذَّالِ، أي: لا يُعذَّبُ أَحَدٌ كَعَذَابِ هَذَا الشَّخْصِ.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ أي: وليس أَحَدٌ أشدَّ قَبْضًا وَوَثقًا من وَثاقِ اللهِ تعالى.

وقُرِئَ: ﴿وَلَا يُوثَقُ﴾ بفتح الثاء، أي: لا يوثَقُ أَحَدٌ كمَا يوثَقُ هَذا الشَّخْصُ يومئذٍ.

ثُم في وسَطِ هذا الهوْل المرَوِّع والعَذَابِ والوَثاقِ تُنادى النَّفْسُ الزكيَّةُ المؤمِنةُ، فَيُقَالُ لها:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾ أي: بِذِكْرِ اللهِ تعالى وبِوَعْدِهِ، المصَدِّقةُ بما قال سبحانه، الموقنَةُ بأنَّ اللهَ تعالى ربُّها، الصَّابِرَةُ لأَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ.



التفسير

﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: إلى جوارِهِ وثَوَابِهِ وما أعَدَّ لعبادِهِ في جَنَّتِهِ.

﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ أي: راضيةً بالثَّوابِ، مَرْضيَّةً من ربِّها، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرْضَاهَا.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي: في جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّادِقِين المخْلِصِين.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ يُقَالُ لها هَذا عِنْدَ الموْتِ، وَيوْمَ القِيامَةِ أَيضًا.



فوائد الآيات:

١

أنَّ مَجِيء اللهِ تعالى يَوْمَ القِيَامَةِ للفَصْلِ بيْنَ العِبَادِ على الحَقِيقَةِ، وليْسَ كَمَا يقُولُ أهْلُ التعْطِيلِ: (جَاءَ أمْرُهُ أو قضَاؤه)، فَهَذا إِخْراجٌ للكَلامِ عن ظَاهِرِه، فإنَّ اللهَ تَعَالى أَسْنَدَ (فِعْلَ المجِيءِ) لنفْسِهِ، وهذا يَعْني أنه هُو الموصوف به حَقِيقَةً.

وعَقِيدةُ أهلِ السُّنةِ والجَمَاعَةِ أن نجْرِيَ كلامَ اللهِ وكلامَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ظَاهِرِهِ، لا نُحَرِّفُهُ ولا نعَطِّلُهُ.

٢

شِدَّةُ هَوْلِ وَمَشَاهِدِ يوْمِ القِيَامَةِ، وما يقَعُ فيه من أحْدَاثٍ عَظِيمَةٍ، ترجُفُ لها القُلوبُ، وتخْشَعُ لها الأَبْصَارُ؛ حتى يُؤْتى بالنَّارِ، لها سَبْعُون ألفَ زمام، في كلِّ زِمَامٍ سَبْعون ألفَ مَلَكٍ يجرُّونَها، والملائكةُ مُلتفُّون مُحِيطُون بالخلائِقِ، ويجِيءُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى للفَصْلِ بيْنَ العِبادِ، فَعَلى العَبْدِ أَنْ يتهيَّأَ لهَذَا اليَوْمِ.



فوائد الآيات:

٣

نَدَمُ الإِنسَانِ الغَافِلِ اللاهِي يومَ القِيامَةِ، وتمنِّيه لو عَادَ إلى الدُّنيَا ليعْمَلَ فِيهَا، ويُقَدِّم لحيَاتِه البَاقيَةِ، فَفِي الآياتِ التنْبِيهُ على ما ينبَغِي أنْ يكُونَ عليْهِ الإنْسَانُ في الدُّنيَا، مِنَ المُسَارَعَةِ للأَعْمَالِ الصَّالحَةِ، والبُعْدِ عن المعَاصِي والمحَرَّمَاتِ.

نشاط

١ كيْفَ يُؤْتَى بجَهَنَّمَ يوْمَ القِيامَةِ، اذكُرْ ذلك مؤيِّدًا قَوْلَكَ بالأدِلَّةِ.

....

٢ تأمَّلْ وَصْفَ الكَافِرِ لحيَاتِهِ الآخِرَةِ بقَولِهِ: ﴿قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾، فَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ التي نعيشُهَا اليومَ؟

....

٣ اذكُرْ القِراءَاتِ الوارِدَةَ فيما يأْتي موجِّهًا إيَّاهَا:

أ ﴿لَّا يُعَذِّبُ﴾ ....

ب ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ ....





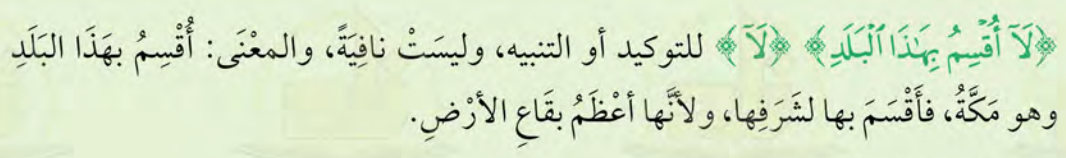
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾﴾

[البلد: ١-١٠]

التفسير

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ ﴿لَآ﴾ للتوكيد أو التنبيه، وليسَتْ نافِيَةً، والمعْنَى: أُقْسِمُ بهَذَا البَلَدِ وهو مَكَّةُ، فأَقْسَمَ بها لشَرَفِها، ولأنَّها أعْظَمُ بقَاعِ الأرْضِ.

والقَسَمُ: تأكِيدُ الشَّيءِ بذِكْرِ مُعَظَّمٍ عِنْدَ الحالفِ عَلى صِفَةٍ مخْصُوصَةٍ





التفسير

فلا يقْسمُ بنبيٍّ ولا وليٍّ ولا شيءٍ إلا باللهِ تعالى.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بغَيرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» أخرجه الترمذيُّ وقال: حديث حسن.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أي: أُقْسِمُ بهَذَا البَلَدِ وأنْتَ حَالٌّ ساكنٌ فيه؛ لأنَّ حُلُولَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَكَّةَ يزيدُها شَرَفًا إلى شَرَفها.

أو أنَّ هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تعالى أن يُحِلَّ مكة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتَّى يقاتِلَ فِيها، وأنْ يفْتَحَها عَلى يَدِهِ.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ أي: وأُقْسِمُ بكل والدٍ وَمَا وَلَدَ، من الإنسَانِ وغيره ، لأنَّ الوالدَ والمَوْلودَ كِليْهِمَا مِن آياتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ هذا هو المُقْسَمُ عليه، والمرادُ جِنْسُ الإنْسَانِ.

والكَبَدُ: أصْلُهُ الشِّدَّةُ، ويُطْلَقُ على الاسْتقَامَةِ والاسْتوَاءِ.

فقوله: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ أيْ: مَا يُكابِدُهُ الإنسَانُ ويُقَاسِيهِ من الشَّدَائدِ في الدُّنيا، وفي طَلَبِ الرِّزْقِ ومجَاهَدَةِ النَّفْسِ في طَاعَةِ اللهِ واجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

ويُحتَمَلُ: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ أي: أحسَنِ تقويمٍ، وأقْوَمِ خِلْقةٍ، ومع ذلك، لم يشْكُر اللهَ على هَذه النِّعْمةِ العَظِيمَةِ.

قال الشيخُ ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «و يصحُّ أن تكونَ الآيةُ شَامِلةً للمَعْنَيَيْنِ، أي: في حُسْنِ قَامَةٍ واسْتقَامَةٍ، وفي مُعَاناةٍ لمشاقِّ الأُمُورِ».



التفسير

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ أَيَظُنُّ ألا يقْدِرَ عليْهِ أَحَدٌ، فيَطْغَى ويفْتَخِرَ بما أنْفَقَ من الأَمْوالِ على شَهَواتِ نفْسِهِ، فـ: ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ أي: كثيرًا مُجْتَمِعًا فِيمَا يُغْضِبُ اللهَ تعالى.

وسمَّى اللهُ تعَالى الإنفَاقَ في الشَّهَواتِ والمعَاصِي إهْلاكًا؛ لأنه لا ينتفِعُ المنفِقُ بما أنْفَقَ، بل يَعُودُ عليْهِ بالضَّرَرِ.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي: أيظُنُّ هَذا أنَّه لا يَرَاه أَحَدٌ في تبْذِيرِهِ المالَ، وصَرْفِهِ في مَا لا يَنْفَعُ، وكلُّ هذا تَهْدِيدٌ للإنسَانِ.

وهذا بالنِّسْبَةِ للكافِرِ، أمَّا المؤْمِنُ فإنه يعْلَمُ أنَّ اللهَ قادِرٌ عليْهِ، وأنه سُبْحَانه على كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، فيخَافُ منه.

ثم إنَّ اللهَ تعالى ذكَّر الإنسَانَ نِعَمَهُ عليْهِ، فقال في نِعَمِ الدُّنيَا:

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾ للجَمَالِ والبَصَرِ والنُّطْقِ، وغَيْرِ ذلك من المنَافِعِ الضَّرورية فِيهَا.

ثم قال في نِعَمِ الدِّين: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ أي: بيَّنَّا له طَرِيقَ الخَيْرِ وطَرِيقَ الشَّرِّ، والحقَّ والباطِلَ، والهُدَى والضَّلالَةَ، كقَوْلهِ: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٣]، وقَوْلهِ تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].



فوائد الآيات:

١

أنَّ العيْنَ واللسَانَ والشَّفَتَيْنِ من أعْظَمِ نِعَمِ الله على الإنسانِ؛ حيث سِيقَت مَسَاق الامتنانِ في الآياتِ.

فالعَيْنَانِ يبْصِرُ بِهِمَا، وَهَاتان العَيْنَان تُؤَدِّيانِ إلى القَلْبِ، فإنْ نَظَرَ نَظْرَةً محرَّمَةً كَانَ آثمًا، وَإِنْ نَظر نَظَرًا يقرِّبُهُ إلى اللهِ كان غانمًا.

واللسانُ ينطِقُ بهِ، والشَّفتَانِ يضْبطُ بِهِمَا النُّطْقَ، فإنْ نَطَقَ بِخَيرٍ كانَ له، وإنْ نَطَقَ بِشَرٍّ كانَ عَليْهِ.

٢

أنَّ الإنسانَ ينْسَى حَقِيقةَ حَالهِ، وينخَدِعُ بما يعْطِيهِ خَالقُهُ مِن القُوَّةِ والقُدْرَةِ، فيتصرَّفُ تصرُّفَ الذي لا يحسَبُ أنه مأْخُوذٌ بعَمَلهِ، وغَير مَقْدُورٍ عَليْهِ.. فيَطْغَى ويبْطِشُ ويَسْلُبُ وينْهَبُ، وهَذِه هي صِفَةُ الإنسَانِ الذي يَعْرَى قلبُهُ من الإيمانِ.

نشاط

١ أكمِلِ العِبَاراتِ الآتِيَةَ:

أ القَسَمُ: .... الشيءِ بذكرِ .... عندَ الحالفِ عَلَى ....

ب ولا يجُوزُ إلا ....

ج فلا يُقْسَمُ بـ.................. ولا .... ولا .... إلا ....

د قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فَقَدْ .... أو ....».

٢ صِلْ بين (أ) و(ب)

أ
الكَبَد
لُبَدًا
النَّجْدَينِ

ب
مُجْتَمِعًا
طريقُ الخيرِ والشَّرِّ
التَّعَبُ

٣ ما تَوْجِيهُك لمنْ يبحَثُ عن الرَّاحَةِ في الدُّنيا، في ظِلِّ قولهِ تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾؟

....

....

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾

[البلد: ١١-٢٠]



التفسير

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ أيْ: هَلَّا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ هَذَا الإنسَانُ، المُغْتَرُّ بمَالِهِ!!

وأصلُ العَقَبِةِ: الطَّريقُ في الجَبَلِ الوَعِرِ، **والاقْتِحَامُ**: هو الدُّخُولُ في الأمْرِ الشَّديدِ.

وذِكْرُ العَقَبةِ هُنا: مَثَلٌ ضرَبَهُ اللهُ لمجاهَدَةِ النَّفْسِ والهَوَى والشَّيْطَانِ في أعْمَالِ البِرِّ، فجَعَلَهُ كالذي يتكلَّفُ صُعُودَ العَقَبَةِ.

وَقِيلَ: إنه شَبَّه ثِقَلَ الذُّنُوبِ على مُرْتَكِبِها بعَقَبةٍ، فإذا فَعَلَ الخيرَ، وتَابَ من تلك المعَاصِي، كان كمَنْ اقْتَحَمَ العَقَبَةَ وَجَاوَزَها.

وَقِيل: العَقَبة جَبَلٌ في جهنَّمَ.



التفسير

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ أيْ: وَمَا أَعْلَمَك ما شَأْنُ هَذِهِ العَقَبَةِ؟! وَهَذا تفْخِيمٌ وَتَهْوِيلٌ لشَأْنها.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ هذا تفسير لما يحصل به اقتحامُ وتجاوُزُ العَقَبَةِ، والمرادُ عِتقُ رَقَبَةٍ وتحْرِيرُها من الرِّقِّ والعُبُودِيَّةِ، ويدْخُلُ فيها فِكاكُ الأَسِيرِ، وهُو مِن أَفْضَلِ الأَعْمَالِ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ.



وفي الصَّحِيحين عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أعْتَقَ رَقَبةً مُؤْمِنةً أَعْتَقَ اللهُ بكُلِّ عُضْوٍ مِنها عُضْوًا مِنْهُ مِن النَّار حَتَّى الفَرْجَ بالفرْجِ».



وقد أَعْتَقَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صَدْرِ الإِسْلامِ بِلالًا، وَعَامِرَ بنَ فُهَيرةَ، وأمَّ عُبيسٍ، وزُنيْرَةَ، والنَّهْدِيَّةَ وبنتَهَا، وجَارِيَةَ بني مُؤَمَّلٍ، وكان عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعذِّبها لتترُكَ الإسْلامَ قَبْلَ إسْلامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

قال ابنُ إسحاقٍ: قال أبو قُحَافَةَ لأَبي بَكرٍ: يا بُنَيَّ، إني أَرَاكَ تُعتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أنك إذا فَعَلتَ ما فَعَلتَ أعْتَقتَ رِجَالًا جُلْدًا يمنَعُونَكَ ويقُومُون دُونَك! قَالَ: فَقَالَ أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **يا أَبَتِ إنِّي إنما أُرِيدُ مَا أُرِيدُ للهِ سُبْحَانه.**

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ أي: إِطْعَامٌ في حَالةِ جُوعٍ شَدِيدةٍ، وهذا من طُرُقِ تَجَاوُزِ العَقَبةِ.

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ أي: تُطْعِم يَتِيمًا بَيْنَك وبَيْنَهُ قَرَابةٌ.

﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ **(المتْرَبَة)** مَصْدَرُ: تَرِبَ إذا افْتَقَرَ. أي: تُطْعِم مِسْكينًا، قَدْ لَصِقَ بالتُّرَابِ مِنْ شِدَّةِ فَقْرِه.

والمعنى: فَهلا أَنْفَقَ هَذَا الإنسَانُ مَالَهُ فيما يتَجَاوَزُ بِهِ هذه العَقَبةَ، من فَكِّ الرِّقَابِ وإطْعَامِ الجَوْعَى من اليَتَامَى والمسَاكِين!



التفسير

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: إنه مع هَذِهِ القُرَبِ ذُو إيمانٍ بما يجِبُ الإيمانُ به.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ أي: أَوْصَى بَعْضُهُم بَعْضًا بالصَّبْرِ:

1. على طَاعَةِ اللهِ.
2. عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ.
3. على أقْدَارِ اللهِ المؤْلمةِ.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ أيْ: بِرَحمَةِ النَّاسِ، مِنْ إعْطَاءِ محتَاجِهم، وتعْليمِ جَاهِلِهم، وكَفَالةِ يَتيمِهِمْ، والقِيامِ بما يحْتَاجُون إليْهِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أي: جهةِ اليَمِينِ، مَأْخُوذٌ من قوْلِهِم: يَمَنَهُ اللهُ، إذا بَارَكَهُ، والمرَادُ أَصْحَابُ اليَمِينِ، الذين يُؤْتَوْن كِتَابَهُم يوْمَ القِيامَةِ بِأَيمَانِهِم.



وَتُسَمَّى اليَمَنُ يمَنًا؛ لأَنها يَمِينُ الواقِفِ مُسْتَقْبِلًا الكَعْبَةَ، وَهِيَ مَيْمُونةٌ لِكَثْرَةِ الخيْرَاتِ فِيهَا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أي: والذين جَحَدُوا بآياتنا هُمْ أصْحَابُ الشِّمَالِ والشُّؤْمِ.



وكانت العَرَبُ تتَشَاءَمُ بجِهَةِ الشِّمَالِ، وقد أَبْطَلَ الإسْلامُ هذا بقولِ النبيِّ ﷺ: «**اللَّهمَّ بارِكْ لنا في شَامِنَا وفي يَمَنِنَا**» رواه البخاري.
أي: في الَّشام جِهَةَ الشَّمَالِ، وفي اليَمَن جِهَةَ اليَمِينِ.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ أي: مُطْبَقَةٌ، مُغْلَقَةٌ عليْهِم، من قَوْلِهِم: أوْصَدَ البابَ إذا أغْلَقَهُ.



فوائد الآيات:

١

قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ولم يقل: ثم كانَ مُؤْمِنًا؛ لأنَّ كونَهُ من الذِين آمَنُوا أدَلُّ على ثُبُوتِ الإيمانِ من الوصفِ بمُؤْمِنٍ؛ لأنَّ صفةَ الجَمَاعَةِ أَقْوَى؛ لكَثْرَةِ الموصُوفِين بها، فإنَّ كثْرَةَ الخَيْرِ خَيْرٌ.

٢

خَصَّ اللهُ بالذِّكْرِ مِن أَوْصَافِ المؤْمِنين تواصِيَهُم بالصَّبْرِ وتَوَاصِيَهُم بالمَرْحَمَةِ؛ لأنَّ هَذَا أشْرَفُ صِفاتهِم بعدَ الإيمانِ.

فإنَّ **الصَّبْرَ**: مِلاكُ الأعْمَالِ الصَّالحةِ كلها؛ لأنَّها لا تخْلو من كَبْحِ الشَّهْوةِ النَّفْسَانيَّةِ، وذلك من الصَّبْرِ.

والمرْحَمَةُ: مِلاكُ صَلاحِ جَمَاعَةِ المسْلِمِين، كما قال تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].



نشاط

١ اذكُرْ جَمِيعَ صِفَاتِ المؤْمِنين الوارِدَةِ في هَذِهِ السُّورَةِ.

٢ حَاوِلْ أنْ تسْتَنْبِطَ: لِمَ سُمِّيَ فَكُّ الرِّقَابِ وإطْعَامُ المَسَاكينِ واليَتَامَى وَقْتَ الجُوعِ الشَّدِيدِ بالعَقَبَةِ؟

٣ تحدَّثْ عن التَّكَافُلِ الاجْتِمَاعِيِّ في الإسْلامِ في ضَوْءِ هَذِهِ الآياتِ.





﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾

[الشَّمْس: ١-١٠]



التفسير

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ قسَمٌ من اللهِ تعالى بالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَهُو ضَوْءُهَا؛ لما في ذلك مِنَ الآياتِ العَظِيمَةِ الدَّالَةِ على كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكَمَالِ عِلْمِهِ وَرَحْمَتِهِ.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي: إِذَا تَبِعَهَا في سَيْرِهَا وَنُورِهَا وَضَوْئِهَا.

فأَقْسَمَ اللهُ تعالى بالشَّمْسِ؛ لأنها آيةُ النَّهارِ. وأَقْسَمَ بالقَمَرِ؛ لأنه آيةُ الليْلِ.



التفسير

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ أي: أظهَرَها، والضَّميرُ في ﴿جَلَّىٰهَا﴾ يحتملُ أن يعودَ على الشَّمسِ، ويحتملُ أن يعُودَ على الأرضِ.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ أي: إذا غَطَّى الشمسَ أو الأرْضَ حتَّى تكُونَ مُظْلِمَةً.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ أي: والسَّماءِ وبِنائها، الذي هُوَ غَايَةُ مَا يَكُونُ من الإِحْكَامِ والإِتْقَانِ.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي: والأرْضِ وتسويتِهَا ومَدِّها وبَسْطِها؛ حتى تكُونَ مُنَاسِبَةً للخَلْقِ عَلى حَسَبِ ما تَقُومُ به حَوائِجُهُم، كقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ أي: تعديل خلقِها وتسوية أعضائها، وهو كقَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وهذا القَسَمُ عَامٌّ لجَمِيعِ الأنفُسِ التي خَلقَها اللهُ من الجِنِّ والإنسِ.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أي: ألهَمَ هَذِهِ النُّفُوسَ الفُجُورَ والتَّقْوَى، والفُجُورُ مَعْصِيَةُ اللهِ، والتَّقْوى طَاعَةُ اللهِ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: فَازَ بالمطْلُوبِ ونَجَا مِن المرْهُوبِ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بتخليصها من الشِّرْكِ وشَوائبِ المعَاصِي، حَتَّى تبْقَى زَكيةً طَاهِرةً نقِيَّةً.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: خَابَتْ وخَسِرَتْ نفْسٌ أغْوَاهَا صَاحِبُها، وأرْدَاهَا في المهَالكِ والمعَاصِي.

فَقَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّى نفْسَهُ بِطَاعَةِ اللهِ وصَالحِ الأَعْمَالِ، وَخَابَ مَنْ دَسَّ نفْسَهُ في المَعَاصِي.

فوائد الآيات:



١- عَظَمَةُ هَذِهِ المخْلوقَاتِ التي أَقْسَمَ اللهُ تَعَالى بهَا: الشَّمْسُ والقَمَرُ والسَّمَاءُ والأَرْضُ والليْلُ والنَّهَارُ، وَهَذَا يتكَرَّرُ في الكتَابِ العَزِيزِ.

٢- ذِكْرُ اللهِ تعالى للنَّفْسِ في هَذَا السِّيَاقِ، وقَسَمُهُ بهَا؛ لأَنَّها آيَةٌ عَظِيمَةٌ بَدِيعَةٌ من آياتهِ، فإنَّها في غَايةِ اللُّطْفِ والخِفَّةِ، سَرِيعَةُ التأثُّرِ والانفِعَالِ، من الهَمِّ والإرَادَةِ والقَصْدِ والحُبِّ والبُغْضِ، وَهِيَ التي لوْلاهَا لَكَانَ البَدَنُ مجَرَّدَ تِمْثَالٍ لا فَائدَةَ فِيهِ.



٣- **أن تزكيةَ النَّفسِ قسمانِ:**

الأولُ: تزكيةٌ محمودةٌ، وهي تهذيبُ النفسِ وتربيتُها وتخليصُها من الشِّركِ والمعاصي.

الثاني: تزكيةٌ مذمومةٌ، بمدحِ النفسِ والثناءِ عليها، وهي المقصودةُ في قَوْلهِ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢].



٤- في هَذِهِ الآياتِ الأرْبَعَةِ: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ بالإضافةِ إلى قَوْلهِ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠] وقَوْلهِ: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] بيانُ حقيقةٍ كُبْرى في الإنسَانِ، وأنَّ فيه قُدُرَاتٍ مُتَسَاوِيةً للخَيْرِ والشَّرِّ، والهُدَى والضَّلالِ، وأنه قادِرٌ على التَّمْييزِ بيْنَ مَا هُوَ خيْرٌ وَمَا هُوَ شَرٌّ، كَمَا أنه قَادِرٌ عَلى توجِيهِ نفْسِهِ إلى الخَيْرِ وإلى الشَّرِّ.

نشاط

١ ما مَعْنى الكَلِمَاتِ الآتيةِ:

أ جلَّاها: ....

ب طَحَاهَا: ....

ج دسَّاها: ....

٢ كيْفَ تجْمَعُ بيْنَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ وقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢]؟

....

....

....

....

....

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾

[الشَّمْس: ١١-١٥]



التفسير

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ ثَمُودُ اسْمُ قَبِيلةٍ، وَنبيُّهُم صَالحٌ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودِيارُهُم في الحِجْرِ، فَهَؤُلاءِ كَذَّبُوا نبيَّهُم صَالحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكان يدْعُوهُم إلى عبادةِ اللهِ وحْدَه لا شَريكَ له، وهِيَ دَعْوَةُ التوْحيدِ، دَعْوَةُ الأَنبياءِ جَميعًا.

فقوله: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ أي: إنَّ هَذِهِ القَبِيلةَ بَسَبَبِ طُغيَانِهَا وجَبرُوتها كَذَّبَتْ نَبِيَّها صَالحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ هَذا بَيَان للطُّغْيَانِ المذكُورِ في الآيةِ السَّابقَةِ، فَقَد اندَفعَ أشْقَى هَذِه القرْيةِ بسُرْعَةٍ شَدِيدةٍ، يريدُ أنْ يقْضِيَ على النَّاقَةِ، التي جَعَلها اللهُ آيةً لصَالحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على نُبُوَّتِه.

اسْمُ هذا الأَشْقَى قُدارُ بنُ سَالفٍ، وفي الصَّحِيحَيْنِ: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ قال: «**انبعَثَ لها رَجُلٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ في أَهْلِهِ، مِثلُ أَبي زَمْعَةَ**».



التفسير

وأبو زَمْعَةَ هُوَ عَمُّ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أَحَدُ المسْتَهزِئين بالإِسْلامِ، وَمَاتَ عَلَى الكُفْرِ بمَكَّةَ.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: احْذَرُوا عَقْرَ ناقَةِ اللهِ، التي جَعَلها لَكُمْ آيةً عَظِيمَةً، ولا تتعَرَّضُوا لها بِسُوءٍ، ولا تمنعُوها من الشِّربِ في يومِها، وَكَانَ لها يَومٌ ولهُم يَومٌ، وَهَذَا كَمَا في قَوْلِهِ تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ فَكَانَت النَّتِيجَةُ عَكْسِيَّةً، فَكَذَّبوه في أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ تعالى، فَعَقَرُوهَا وَأَهْلَكُوها.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ **الدَّمْدَمَةُ: هي الإِهْلاكُ بِاسْتِئْصَالٍ**، أي: دمَّرَهُم وأهْلَكَهُم، فأَرْسَلَ عَلَيْهِم الصَّيْحَةَ مِن فوقِهِم، والرَّجْفَةَ مِن تحْتِهِم.

﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: بسَبَبِ ذُنوبِهِم؛ لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا، ولكنَّ الناسَ أَنْفُسَهُم يظلمُون.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: عَمَّهَا بالهَلاكِ حتَّى لم يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ أي: إنَّ اللهَ لا يخَافُ مِن عَاقِبَةِ هَؤُلاءِ الذين عَذَّبَهُم، ولا يَخَافُ من تبِعَتِهِم؛ لأنَّ له المُلْكَ وَبِيَدِهِ كلُّ شَيءٍ.

فوائد الآيات:

١

أنَّ الذُّنوبَ سَبَبٌ للهَلاكِ والدَّمَارِ وَالفَسَادِ، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقال اللهُ تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾. [آل عمران: ١٦٥]، فَالإِنسَانُ يُصَابُ بالمَصَائِبِ بِسَبَبٍ من عِنْدِ نَفْسِهِ.

٢

إضافة الأشياء إلى الله تعالى قسمان:

الأول: إضافةُ صفةٍ، كيدِ اللهِ ووجهِ اللهِ وعَينِ اللهِ تعالى، فإضافتُها إلى اللهِ تعالى من بابِ إضافةِ الصِّفةِ إلى موصُوفِها.

الثاني: إضافةُ ملكٍ وتشريفٍ، كبيتِ اللهِ وناقةِ اللهِ ورُوحِ اللهِ.

٣

بَيَانُ قُدْرَةِ اللهِ تعالى على خَلقِهِ، وأنَّ عَذَابَهُ أَليمٌ شَدِيدٌ ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ وأنه يمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إذا أَخَذَهُ لم يُفْلِتْهُ، وَهُو المَلِكُ فلا يخَافُ تَبِعَةَ ذلك مِن أَحدٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.



نشاط

١ اذْكُرْ قِصَّةَ ثمودَ بطَرِيقَةٍ إجْمَاليةٍ كَمَا أَوْرَدَتْهَا هَذِهِ السُّورَةُ.

....

....

....

....

....

٢ اذْكُرْ ثَلاثَ فَوَائِدَ مما احْتَوَاهُ هَذَا المقْطَعُ القُرْآنيُّ.

....

....

....

....

....

الوحدة التاسعة ٩



﴿وَالَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَاتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِالۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِالۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾

[الليْل: ١-١١]



التفسير

﴿وَالَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ أي: إذا غَشِيَ الخليقةَ بِظَلامِهِ.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أيْ: ظَهَر وَبَانَ بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالۡأُنثَىٰٓ﴾ يُقْسِمُ بنفسِهِ سبحانه، الذي خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى.



التفسير

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أي: إنَّ أَعْمَالَكُم مُتبَايِنَةٌ وَمُتَخَالِفَة، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا، ومِنْ عَامِلٍ للآخِرَةِ، وَمِن عَامِلٍ للدُّنيَا.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ أي: أَعْطَى مَا أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ، واتَّقَى اللهَ في أُمُورِهِ.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: صَدَّقَ بالجَزَاءِ يومَ الدِّينِ، والتَّوحِيدِ الخالِصِ للهِ تعالى، وكلامِ اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: فسيُيَسِّره اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لليُسْرَى في أُمُورِهِ كُلِّها، في أُمُورِ دِينِهِ ودُنيَاهُ، ولهَذَا تجِدُ أَيسَرَ الناسِ عَمَلًا هُو مَن اتَّقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ فلَمْ يُعْطِ مَا أُمِرَ بإِعْطَائِهِ، واسْتَغْنَى عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بالجَزَاءِ في الدَّارِ الآخِرَةِ، وكلِّ مَا سَبَقَ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي: لطَرِيقِ الشَّرِّ، والحَالةِ العَسِرَةِ، فيَكُونُ مُيسَّرًا للشَّرِّ أيْنَمَا كانَ، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مِنْ ثَوَابِ الحسَنَةِ الحسَنَةُ بَعْدَهَا، ومن جَزَاءِ السَّيِّئَةِ السَّيئَةُ بعْدَها».

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ أي: لا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ الذي أَطْغَاهُ واسْتَغْنَى بِهِ، وبَخِلَ بِهِ إذا هَلَكَ وَمَاتَ، فإنه لا يَصْحَبُهُ إلا عَمَلُهُ الصَّالِحُ.

فوائد الآيات:

١

أنه كُلَّمَا كانَ الإِنسَانُ أتْقَى للهِ تعالى كانت أُمُورُهُ أَيْسَرَ له، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وَكُلَّمَا كانَ الإنسانُ أبْعَدَ عَن اللهِ تعالى كانَ أَشَدَّ عُسْرًا في أُمُورِهِ.

٢

أنَّ الجُمُوعَ البَشَرِيَّةَ في كلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ حِزْبانِ فَقَطْ، مَهْمَا تنوَّعَتْ وَتَعَدَّدَت الأَشْكالُ والأَلوانُ.

وأنَّ كلَّ إنسانٍ يفْعَلُ بنَفْسِهِ ما يختارُ لها، فيُيَسِّرُ اللهُ له طَرِيقَهُ: إمَّا إلى اليُسْرَى، وإمَّا إلى العُسْرَى .

نشاط

١ مُسْتعِينًا بكُتُبِ التَّفْسِيرِ، بيِّنْ لم قَدَّمَ اللهُ تعالى الليْلَ والنَّهَارَ والذَّكَرَ والأُنْثَى، عِنْدَ القَسَمِ على أَنَّ أَعْمَالَ العِبادِ مُتَفَاوِتَةٌ.

....

....

٢ مَا الأَحَادِيثُ النبوِيَّةُ التي وَرَدَتْ في سِيَاقِ المقْطَعِ السَّابقِ؟ اسْتَعِنْ بمَصَادِرَ خَارِجِيَّةٍ.

....

....

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

[الليل: ١٢-٢١]



التفسير

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ هذا التزامٌ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ أنْ يُبيِّنَ للخَلْقِ الهُدَى، ويَصْرِفَهُم عَنْ طَرِيقِ الضَّلالِ، فيُبيِّنَ للعِبَادِ الحَلالَ والحرَامَ، وغَيْرَهُ من التَّشْريعَاتِ.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ هذا تتْمِيمٌ وتنبيهٌ على أن تعهُّدَ اللهِ لعِبَادِهِ بالهُدَى فَضْلٌ مِنْهُ، وإلا فإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ مُلْكُهُ، والدَّارَ الأُولى مُلْكُهُ.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تتوَقَّدُ وتتوَهَّجُ وتلتَهِبُ من شِدَّةِ الاشْتِعَالِ.

أَخْرجَ البُخَارِيُّ عن النُّعْمان بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيامَةِ رَجُلٌ تُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتانِ يَغْلِي مِنْها دِماغُهُ».



التفسير

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ فلا يَحترِقُ بنارِها إلا الشَّقِيُّ، فيَدْخُلها وتُحِيطُ بِهِ من جَمِيعِ جَوانبِهِ.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: كذَّبَ بالدِّين بقَلْبِهِ، وَتَوَلَّى عَن العَمَلِ بجَوارِحِهِ.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ أي: وَسَيُزَحْزَحُ عن النَّارِ التَّقِيُّ.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: يَصْرِفُ مَالَهُ في طَاعَةِ رَبِّهِ؛ ليُزَكِّيَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَمَا وَهَبَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي: إنَّه لا يُعْطِي المالَ مُكافَأَةً على نعْمَةٍ سَابقَةٍ من شَخْصٍ.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: ولكنَّه يُعْطِي ابتِغَاءَ وِجْهِ اللهِ؛ رَاجِيًا الوُصُولَ لدَارِ كرامَةِ اللهِ تَعالى.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي: وَسَوْفَ يُرْضِيهِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بما يُعْطِيهِ مِنَ الثَّوابِ الكَثِيرِ.

ذَكَرَ غيْرُ واحدٍ من المفسِّرين أنَّ هَذِهِ الآياتِ نزَلَتْ في أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى إنَّ بعضَهُم حَكَى إجماعَ المفسِّرين على ذلك.

وهذا لا يمْنَعُ دُخُولَ غيرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الآيةِ لعُمُومِهَا.



فوائد الآيات:



أنَّ اللهَ تعالى التَزَمَ لعِبَادِهِ بالهُدَى؛ حتَّى لا يكونَ للناسِ على اللهِ حُجَّةٌ، فلا يمْكِنُ للعَقْلِ البَشَرِي أنْ ينفرد بمعرفةِ الهُدَى، والحَلالِ والحرَامِ، وَغَيرِه من التشْريعَاتِ، إلا بِوَحْيٍ مِن اللهِ تَعَالى.



فوائد الآيات:

والهُدى نوعَانِ:

هُدى التَّوْفيقِ: فَهَذا لا يَقْدِرُ عليْهِ إلا اللهُ تعالى.



هُدى إِرْشَادٍ وَدَلالةٍ: فَهَذا يكونُ مِنَ اللهِ تعالى، ويكُونُ من الخَلْقِ: من الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومن العُلَمَاءِ.

٢



تقْديم الآخرةِ علَى الأُولى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ لفَائِدَتَيْنِ:

الأُولى: مَعْنَوِيَّةٌ، وذلك لأنَّ الآخِرَةَ أَهَمُّ مِنَ الدُّنيَا، ولأَنَّ الآخِرَةَ يَظْهَرُ فِيهَا مُلْكُ اللهِ تَعَالى تمَامًا، أمَّا في الدُّنيا فهُنَاك رُؤَسَاءُ، وَهُنَاك مُلوكٌ، وَهُنَاك أُمَرَاءُ يملِكُون مَا أعْطَاهُم اللهُ عَزَّوَجَلَّ من المُلْكِ.

الثَّانيةُ: لَفْظِيَّةٌ، وَهِيَ مُرَاعَاةُ الفَوَاصِلِ، أيْ: أَوَاخِرِ الآياتِ، في السُّورَةِ كلِّهَا.



نشاط

١ قَوْله تَعَالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ ذَكَرَ كثيرٌ من المفَسِّرين أنَّ الآية نَزلَتْ في شَأْنِ أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهَلْ هَذَا يَنْفِي دُخُولَ غَيرِهِ فِيهَا؟ فصِّل القول في ذلك.

....

٢ اُذْكُرْ أَنواعَ الهِدَايةِ، مُسْتَعِينًا ببَعْضِ المصَادِرِ الأُخْرَى.

....





﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾

[الضُّحَى: ١-١١]

سبب النزول

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ عن جُنْدَب بنِ عبدِ اللهِ البَجَليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أبْطَأَ جبريلُ على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال المشْرِكون: وُدِّعَ محمَّدٌ. فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.



التفسير

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ يُقْسِمُ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالضُّحَى، وَهُو أول ساعات النهار، وقيل: النَّهَارُ كُلُّهُ، ومنه قَوْلُهُ: ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٨] أيْ: نَهَارًا.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أيْ: إذا سَكَنَ وغَطَّى وأَقْبَلَ بِظَلامِهِ.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما تَرَكَكَ يا محمَّدُ ولا أَهْمَلَكَ رَبُّكَ، وَمَا أَبْغَضَكَ.



فَالقَالي هو المبْغِضُ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] أي: المبْغِضِين.

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: وللدَّارُ الآخِرَةُ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لك فِيهَا خَيرٌ لَكَ مِن الدَّارِ الدُّنيا وَمَا فِيها، فَلا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا.

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ أيْ: لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّك يا محمَّدُ في الآخِرَةِ مِنْ فَوَاضِلِ نِعَمِهِ، حَتَّى تَرْضَى، وحتى يُرْضِيَك في أُمَّتِكَ.

ثمَّ جَعَلَ اللهُ يُعَدِّدُ في نِعَمِهِ عَليْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ أي: جعَلَ لك مَأْوًى تأوِي إليْهِ، ومنزِلًا تنزِلُهُ؛ لأنه كان يتيمًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فآواه الله تعالى.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ يعني غير عالم، فَهَدَاكَ للتَّوْحِيدِ والنُّبُوَّةِ، وهَذِهِ الآيَةُ كقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾ وَوَجَدَك فقيرًا ذا عِيالٍ فأغْنَاكَ، والعَيْلُ هو الفَقْرُ، كقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٢٨]. (عَيْلَةً) أي: فقرًا.

التفسير

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ فلا تحْتَقِرْه وتَنْتَقِصْهُ، ولا تَظْلِمْه فتَذْهَبَ بحَقِّهِ، وهذا في مُقَابَلَةِ ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ أي: فإذا كانَ اللهُ آواك في يُتْمِكَ، فلا تَقْهَر اليَتيمَ وَأَحْسِنْ إليْهِ.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ وَأَمَّا مَنْ سَأَلَك مِن أَصْحَابِ الحاجَةِ فَلا تنْهَرْهُ وَتُغْلِظْ له القَوْلَ، وَلكِنْ أَطْعِمْهُ وَاقْضِ له حَاجَتَهُ.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ أي: فحدِّثْ بهَذِه النِّعَمِ العَظِيمَةِ الدُّنيَوِيةِ والأُخْرَوِيَّةِ، التي امْتنَّ اللهُ بِهَا عَلَيْكَ.

ومِنْها مَا ذُكِرَ في السُّورَةِ، من الإِيواءِ بَعْدَ اليُتْمِ، والهِدَايةِ بعْدَ الجهل، والغِنَى بعْدَ الفَقْرِ، وأعْظَمُ هَذِه النِّعَمِ النُّبُوَّةُ والرِّسالةُ والاهْتِدَاءُ بالقُرآنِ.

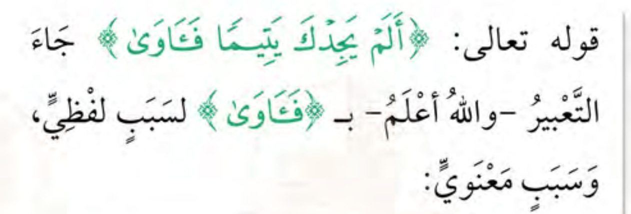
فوائد الآيات:

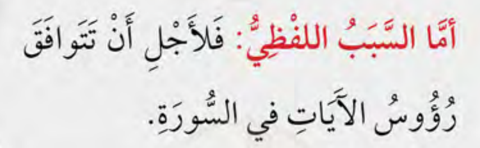


قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ يَدْخُلُ فيه السَّائِلُ للمَالِ والسَّائِلُ للعِلْمِ؛ ولهَذَا كانَ المُعَلِّمُ مَأْمُورًا بحُسْنِ الخُلُقِ مَعَ المتعَلِّمِ، وإِكْرامِهِ والتَّحَنُّنِ عليْهِ، فإنَّ في ذلك مَعُونَةً له على مَقْصِدِهِ، وإِكْرامًا لمن كان يَسْعَى في نفْعِ العِبَادِ والبِلادِ.



قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ جَاءَ التَّعْبيرُ -واللهُ أعْلَمُ- بـ ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ لسَبَبٍ لفْظِيٍّ، وَسَبَبٍ مَعْنَويٍّ:





أَمَّا السَّبَبُ اللفْظِيُّ: فلأَجْلِ أَنْ تَتوافَقَ رُؤُوسُ الآَيَاتِ في السُّورَةِ.



فوائد الآيات:

وأمَّا السَّبَبُ المعْنَوِيُّ: فإنَّهُ لو كَانَ التَّعْبِيرُ (فآوَاك) لاخْتَصَّ الإيواءُ بهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأَمْرُ أَوْسَعُ مِن ذلك، فإِنَّ اللهَ تَعَالى آوَاهُ، وآوَى بِهِ، فَقَدْ آوَى بِهِ المؤْمِنين فَنَصَرَهُمْ وأَيَّدَهُم، بَلْ دَافَعَ عَنْهُم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



نشاط

١ مَا سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ الضُّحَى؟

....

٢ بيِّنْ مَعَانِيَ الكَلِمَاتِ الآتيةِ:

أ قَلَى: ....

ب سَجَى: ....

ج عَائِلًا: ....

٣ نلاحِظُ في القُرآنِ كَثْرَةَ الإِقْسَامِ بالأَزْمِنَةِ، فَعَلامَ يَدُلُّك ذلك؟

....

٤ اخْتَارَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ اليُتْمَ لنَبيِّهِ، أَعْمِلْ ذِهْنَك واسْتَخْرِجْ عِدَّةَ فَوَائِدَ من كَوْنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَشَأَ يَتِيمًا.

....

المصادر

- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.
- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح القرطبي.
- تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين بن أبي بكر بن محمد السيوطي.
- تفسير معالم التنزيل، للحسين بن مسعود بن محمد البغوي المعروف بالفراء.
- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف المعروف بأبي حيان.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي.
- تفسير الشيخ العثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين.
- تفسير الزهراوين، الشيخ محمد صالح المنجد.
- التفسير الميسر لعدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

والله ولي التوفيق

فهرس المحاضرات



فهرس المحاضرات

فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

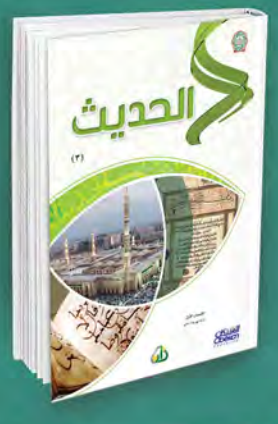
سلسلة زاد العلمية:

سلسلة متكاملة تهدف إلى تقريب العلم الشرعي للراغبين فيه، وتوعية المسلم بما لا يسعه جهله من دينه، ونشرُ العلم الشرعي الرصين، القائم على كتابِ اللهِ وسنّةِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صافيًا نقيًا، وبطرحٍ عصريٍّ مُيسّرٍ، وبإخراجٍ احترافيٍّ.



كتاب التفسير:

يحتوي هذا الكتاب على تفسير سور: الانشقاق، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والفجر، والبلد، والشمس، والليل، والضحى، مع ذكر أهم فوائد الآيات، وقد اعتمد في إعداده وصياغته على أهم وأبرز كتب تفسير المتقدمين والمعاصرين.






نشر
المملكة العربية السعودية - جدة
حي الشاطئ - بيوتات الأعمال - مكتب ١٦
موبايل: 6432 444 50 966+، هاتف: 6929242 12 966+
ص.ب: 126371 جدة 21352
www.zadgroup.net


توزيع العبيكان
المملكة العربية السعودية - الرياض
طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة
هاتف: 4808654 11 966+، فاكس: 4808095 11 966+
ص.ب: 67622 الرياض 11517
www.obeikanretail.com

ISBN: 978-603-8234-25-9
